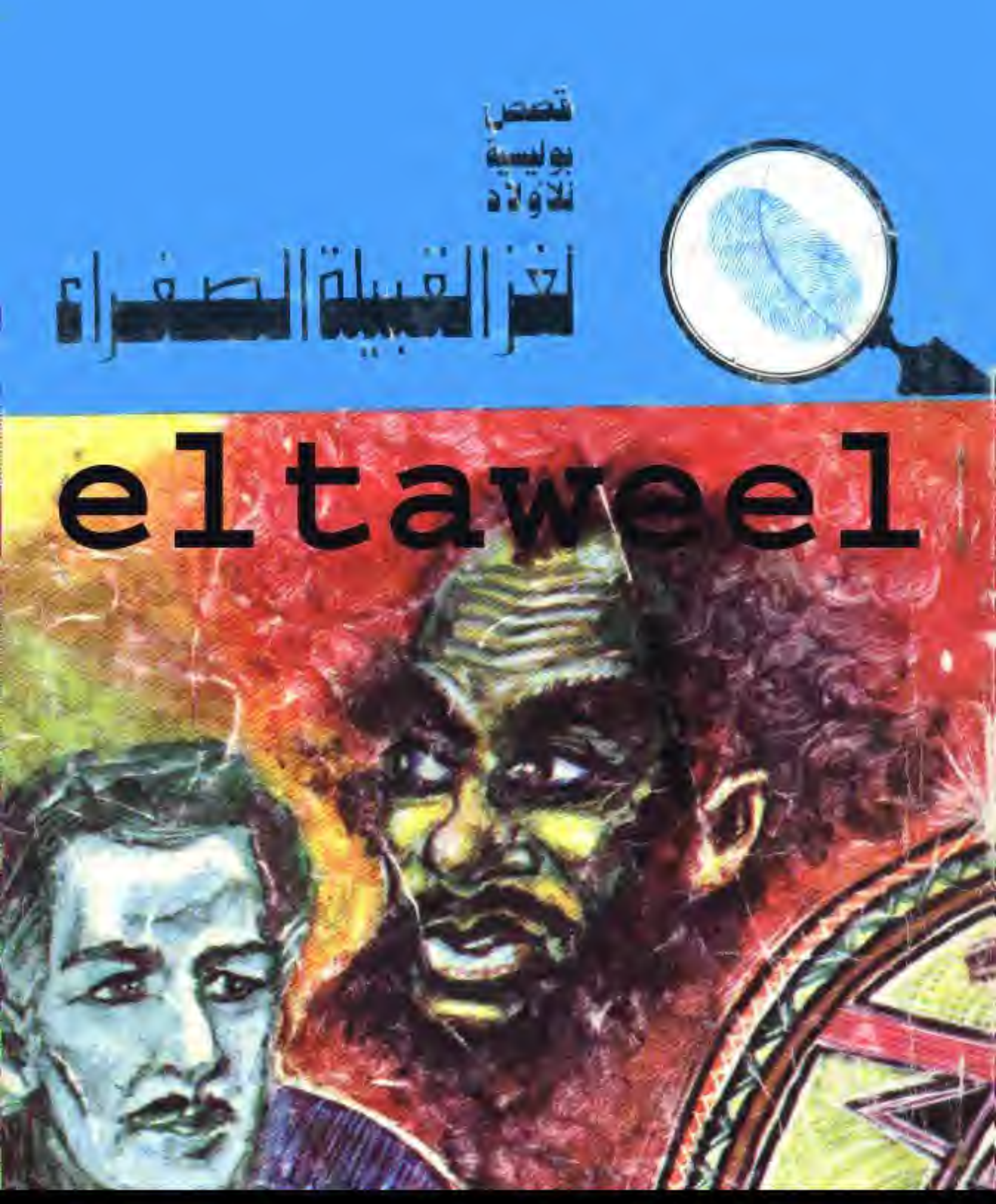

قصص
بوليسية
للأولاد
لغز القبيلة الصفراء
eltaweel

الطائرة المفقودة !

كان الوقت صيفاً ، عندما سافر والد المغامرين الثلاثة إلى الخارج للاشتراك فى مؤتمر علمى . وقد انتهزت والدتهم هذه الفرصة . وصحبته لإجراء بعض الفحوص الطبيّة . ولذا كانت غيبتهما ستطول إلى شهر ، وربما شهرين .



العقيد «ممدوح»

أما المغامرون فكانوا فى بدء العطلة الصيفية . يجلسون مع الصديق الوفىّ «سمارة» ، يتحدثون عن إجازتهم الطويلة ، التى سيقضونها فى كابينتهم الجميلة بشاطئ المعمورة بمدينة الإسكندرية .

وكان صديقهم الأمير «خالد» ، وزميل «عامر» فى

الدراسة . وحارسه « نمرود » العملاق . يجلسان معهم .

وقد عرفنا الأمير « خالد » وحارسه « نمرود » من قبل . فهما اللذان شاركاهم مغامرتهم الغامضة فى « قصر الباشا » !

وكان « خالد » يقضى أسبوعه الأخير معهم فى القاهرة . بعد أن انتهى العام الدراسى .

وهو يستعد الآن للعودة إلى وطنه المملكة العربية السعودية . ليقضى إجازته بين أهله وعشيرته . .

كانوا يستعيدون ذكريات الصيف الماضى ، وما صادفوه من أحداث غريبة .

وبينما هم فى حديثهم الشيّق المثير . إذا بخالهم العقيد « ممدوح » يفاجئهم بالزيارة . .

قابلوه كالعادة بالفرح والتهليل والترحاب . وكان أكثرهم ترحيباً به هو الأمير « خالد » .

فقد كانت هناك علاقة وثيقة بين العقيد « ممدوح » ، وعائلة « خالد » . فهو ضابط المخابرات المكلّف بحراسة والد « خالد » ، الأمير « سلطان » ، أثناء زياراته المتكرّرة التى

يقوم بها للقاهرة ، لإنجاز بعض المهام الدقيقة التى تتعلق بالدولتين ! . . ومن وقتها نشأت بين الاثنين أواصر متينة من الصداقة والمحبّة . .

وما إن رأى « ممدوح » الأمير « خالد » حتى بادره : أمازلت فى القاهرة يا « خالد » حتى الآن ؟ متى ستعود إلى السعودية ؟

خالد : بعد أسبوع على الأكثر . .

عامر : هذه زيارة غير متوقعة ياخالى ! . . هل من جديد ؟

عالية : لقد عوّدتنا على هذه المفاجآت . . حتى أصبحت عندنا شيئاً عاديًّا !

فضحك « ممدوح » ، وقال : هذا ما تقتضيه دائماً طبيعة عملى . . المفاجآت ! . .

عارف : هذا صحيح . . فخالنا اليوم هنا . . وباكراً فى الهند . . وبعد باكر فى أواسط أفريقيا ! ! . .

صمت العقيد « ممدوح » ، وظهرت على وجهه

علامات الجديّة فجأة ، وقال : لقد توقّعت صدقاً يا « عارف » ! ! . .

عارف : ماذا تعنى ؟

عالية : يالها من مغامرة ! . . هل ستتركنا هذه المرّة حقّاً إلى أواسط أفريقيا ؟ ! . .

تجهّم وجه « **ممدوح** » ، وأجابها بلهجة تنمّ عن التشاؤم : نعم ! . . غداً فى الفجر . . ولذا جئت أستودعكم قبل الرحيل . . من يعلم ماذا يخبّئه لى القدر فى هذه الرحلة ! . .

عالية : لا تقُل هذا ياخالى ! . . ليست هذه أوّل أو آخر مغامرة تكلّف بها ! . . ستعود إلينا سالماً . .

ممدوح : عندى شعور داخلىّ بأن أحداثاً رهيبة سوف تقع لى . . فالمهمة خطيرة للغاية ! . .

عالية : هل يمكننا أن نقدّم لك أية مساعدة ؟ ! . .

فعادت الابتسامة إلى وجه « **ممدوح** » ، وقال : أشكرك يا « عالية » على روحك الطيبة ! . . ولكن المساعدة هى آخر

ما يمكنكم أن تقدموه لى فى هذه الرحلة ! . . هذا مستحيل ! . .

عامر : ليس هناك مستحيل ! . . ألم نقدّم لك المستحيل من قبل فى مغامرتنا بالبحر الأحمر ؟ وفى الهند على مياه نهر « الجمنة » المقدس ؟ وفى الجزيرة الملعونة ؟ . . وفى جبل « عتاقة » ؟ . . وفى بحيرة قارون ؟ . . وفى . .

فقاطعه « **ممدوح** » قائلاً : ولكن الأمر يختلف هذه المرّة ! . فسوف أطير غداً مع مجموعة من زملائى إلى الخرطوم . ومنها إلى الغابات والأدغال الكثيفة على حدود السودان .

عالية : ليتنا كنا معك ؟ . .

سمارة : لندلّك كيف تصطاد نمراً فى الغابة ، من فوق « الماشان » ! كما اصطدناه نحن فى غابات « سملا » بالهند ! ! . .

عالية : اصمت يا « سمارة » ! ليس هذا وقت المزاح ! . .

خالد : نرجو لك النجاح والتوفيق من قلوبنا . .

وكان « نمرود » يستمع طول الوقت فى صمت . إلى أن انتهى « ممدوح » من حديثه ، فقال فجأة : هذه المنطقة النائية . وإن كانت موحوشة ، إلاّ أنها رائعة الجمال ! . . فالطبيعة هناك خلاّبة . . بغاباتها العذراء . . وجبالها الشاهقة ! !

فالتفت إليه « ممدوح » وهو يتعجب . وقال : وكيف عرفت ذلك يا « نمرود » ؟ هل شاهدتها ؟ . .

نمرود : نعم ! . . زرتها مراراً عديدة ! بل أقمت فيها بعض الوقت ! . .

خالد : « نمرود » كان من أبرع طيارى سلاحنا الجوى . إلى أن أصيب فى حادث . فأحيل إلى الاستيداع . وكان أن ضمّه والدى الأمير « سلطان » إلى حاشيته بعد ذلك .

ممدوح : وماذا كنت تفعل فى هذه المنطقة ؟

نمرود : كنا ننقل المؤن والذخائر بالطائرات إلى رجال القبائل هناك ! . . ونعود بها محملة بكميات كبيرة من سن

الفيل . . وجلود الفهود والنمور والتماسيح والثعابين . . وريش النعام . . وغير ذلك !

خالد : وهو أيضاً على إلمام ببعض اللهجات التى تتحدث بها القبائل التى تقطن هذه المنطقة ! اكتسبها من كثرة تردّده عليهم !

عالية : ليتك ترافق خالى يا « نمرود » لتحرسه كما تحرس الأمير « خالد » ! . .

سمارة : وتترجم ما يقوله إلى رجال القبائل ! ! . .

ممدوح : هذا مستحيل ! . . فالمهمة سرية للغاية . . ثم لابد من موافقة الأمير « سلطان » على ذلك ! . والآن حان الوقت لأن أودّعكم . . فإلى لقاء قريب . .

* * *

وبعد مرور ثلاثة أيام على وداع « ممدوح » ، نشرت الصحف خبراً صغيراً مصدره الخرطوم . انخلع له قلب المغامرين !

كان الخبر بعنوان « فَقْد طائرة مصرية بالسودان » وكتب

تحته : جاءنا من الخرطوم نبأ فَقْد طائرة مصرية كانت متجهة إلى جهة غير معلومة ، يرجّح أنها صوب الحدود الغربية ، أو ربما على مقربة من الحدود الأوغندية ! . . وقد اتصل قائد الطائرة لاسلكيًّا بمطار الخرطوم ، وذكر أن عطلاً مفاجئاً أصاب أجهزة الطائرة الدقيقة ، مما تعذّر معه تحديد موقعه بالضبط . وأنه يتأهّب للهبوط الاضطرارى . إذا عثر على مكان مناسب وسط الغابات الكثيفة . وإلا اضطر إلى القفز بالمظلاّت هو ومن معه . وعلى أثر انقطاع الاتصال بالطائرة ، أرسل السلاح الجوى السودانى بعض الطائرات الاستكشافية للبحث عن الطائرة المفقودة وركّابها . ولكنها فشلت حتى الآن فى العثور على أىّ أثر لهم ! . .

نهض « عامر » وفتح الراديو على إذاعة السودان . وكانت تذيع وقتئذ نشرة الأخبار . فكان خبر فقد الطائرة المصرية يحتلّ مكان الصدارة من هذه النشرة ! . .

كان لهذا الخبر وقع الصاعقة على رءوسهم . إنهم لم يصدقوه أول الأمر عندما قرءوه فى الجرائد . ولكن ها هى

ذى إذاعة الخرطوم تؤكّده لهم . الآن فقط أصبح الشكّ يقيناً ! ! . .

انخرطت « عالية » فى بكاء مرير . وعلا الحزن والأسى وجه الجميع .

وبعد أن مضت عليهم فترة طويلة من الصمت ، وذهبت عنهم آثار الصدمة الأولى . فاق « عامر » إلى نفسه ، ونطق قائلاً : ربما كانت طائرة أخرى غير طائرته ! . . أنا لا أصدّق أننا فقدنا خالنا إلى الأبد ! . .

عارف : يقتصر الخبر على أن الطائرة مفقودة ! . . وأن الطائرات الاستكشافية تجدّ فى البحث عنها . . وإن لم تتمكن من العثور عليها حتى الآن ! . . ولا يعنى هذا إنها فُقدت نهائياً إلى الأبد !

سمارة : إذن هناك أمل . . قد يكون العقيد « ممدوح » مازال حيًّا يرزق . .

عالية : وحتى إذا فرضنا أنه مازال حيًّا . . تُرى ماذا يفعل خالنا الحبيب وسط مجاهل الأدغال والأحراش

الاستوائية ؟ سوف تفترسه الوحوش الضارية ! . هذا إن لم يقع فى أيدى القبائل المتوحشة ! !

عامر : وما يحزّ فى نفوسنا هو عجزنا عن تقديم يد المساعدة إليه فى محنته الرهيبة ! . .

كان الأمير « خالد » يجلس بينهم مفكرًا حزيناً مهموماً ، لا ينبس بحرف واحد ! . . إنه يقدّر « ممدوح » ويحبّه حبّ المغامرين له . ولكنه كان فى الوقت نفسه ، يعمل فكره فى شىء ورد على ذهنه فجأة ! .

وأخيراً خرج « خالد » عن صمته وقال وهو يهمّ بالوقوف : ليس فى وسعكم أنتم أن تفعلوا شيئاً . . ولكن ربما كان فى وسعى أنا . . . سأحاول على كل حال ! ! . . . موعدنا هنا مساء غدٍ . . فإلى اللقاء ! . .

نظر إليه المغامرون فى دهشة وتطلّع . لقد أحيت كلماته بعض الأمل فيهم بعد يأس . وإن كانوا لا يتصورون ماذا يمكن أن يقدّمه « خالد » لنجدة خالهم .



عامر

وحتى الساعة السابعة من مساء اليوم التالى ، كان المغامرون فى انتظار وصول « خالد » ، بقلق بالغ . فهو لم يتصل بهم طوال اليوم ! . .

فقالت « عالية » والدموع تترقرق فى عينها : أما كان الأجدر به أن يطمئننا ولو بكلمة واحدة . .

عامر : لا تقلقى يا « عالية » . . دعينا نأمل خيراً . .

عارف : إن شيئاً هامًّا منعه من الاتصال بنا ! . .

سمارة : أو ربما فشل فى إيجاد وسيلة لمساعدتنا ! . .

عالية : نحن لسنا فى حاجة إلى وسيلة ! . . نحن فى

حاجة إلى معجزة ! . .

وكان المغامرون يستمعون إلى إذاعة الخرطوم ، عندما أعلن المذيع النبأ التالى : عثرت الطائرات الاستكشافية على حطام الطائرة المصرية وسط الغابات قرب الحدود الأوغندية . وقد تمكنت إحدى هذه الطائرات من الهبوط على شريط ممهّد بجوار قرية صغيرة تسكنها إحدى القبائل . وباستجواب زعيم القبيلة صرّح بأنهم شاهدوا الطائرة من بعيد وهى تهوى إلى الأرض . وأربع مظلات بيضاء مفتوحة تتساقط منها . فى أماكن متفرقة من الغابة . وذكر الزعيم أنه أرسل بعض رجاله للبحث عنهم وسط الغابات الكثيفة . وسنوافى المستمعين فى نشرتنا الصباحية بنتيجة البحث عن هؤلاء الركاب الأربعة . .

وماكاد المذيع يختم هذه النشرة ، حتى طغت على المغامرين موجة من الفرح والسعادة الغامرة . .

فصاح « **عامر** » وهو لا يتمالك شعوره : . . . خالنا حىّ يرزق ! . . خالنا حىّ يرزق ! . . .

عالية : حىّ يرزق وسط الوحوش الكواسر ! ولكن إلى متى ؟ !

سمارة : ومن يدرى ؟ ربما كان الآن معلّقاً بمظلته فوق شجرة .

عالية : بعيدا عن الخطر تؤنس القرود والنسانيس وحدته ! !

عارف : المهمّ أنه حىّ ! . . وطالما هناك حياة . . هناك أمل . .

عالية : آه لو نعرف فقط أين « خالد » الآن ؟ وماذا يفعل ؟ لقد طال غيابه ! . .

وفى هذه اللحظة ، هلّ عليهم « خالد » بطلعته السمراء ، والبِشْر يعلو وجهه . وكان « نمرود » يتبعه كالعادة ، وابتسامة مشرقة تبدو على شفتيه . .

نظر إليهما المغامرون ، وهم يعتقدون أن سبب سعادتهما هو أنهما علما بنجاة « ممدوح » . فصاحت « عالية » : خالنا حىّ يا « خالد » ! . . سمعنا الخبر الآن من إذاعة

السودان ! . .

ففاجأهم « خالد » قائلاً : هذا خبر قديم أعرفه منذ الصباح ! . . أما الأخبار الجديدة فلم تصلكم بعد ! ! . .

عامر : كدت تتلف أعصابنا بغيبتك الطويلة ! أين كنت ؟

عالية : وهل فعلت لنا شيئاً ؟

جلس « خالد » وسطهم بهدوء ، وقال : فعلت الكثير ! . . ومن الآن يجب أن تجهزوا أنفسكم لرحلة طويلة . .

عامر : رحلة طويلة ! ! . . وحياة خالنا « ممدوح » فى خطر !

عارف : وقد تكفى دقيقة واحدة لإنقاذ حياته ! . . وأنت تتكلم عن رحلة طويلة ! ولكن يحسن بنا أن نستمع إليه أولاً . . هات ما عندك يا « خالد » بسرعة . .

خالد : عندما تركتكم بالأمس ، اتصلت تليفونياً بوالدى فى « جدّة » . ففوجئت بأنه يعرف الخبر . ولكنه لم

يكن يعلم أن العقيد « ممدوح » ضمن ركاب هذه الطائرة المنكوبة . ولما أخبرته بذلك ، انزعج انزعاجاً شديداً . . وقال إنه على استعداد أن يفعل المستحيل فى سبيل العثور عليه ! . . واقترح أن يرسل طائرته النفّاثة الخاصة إلى القاهرة . . يقودها طيّاره « سلْمان » . . وهو أقدر الطيارين وأبرعهم فى السعودية ! . .

عامر : ومتى ستصل هذه الطائرة ؟ ! . .

خالد : لقد وصلت فعلاً . . وهى الآن فى مطار القاهرة الدولى ، على أتم الاستعداد للإقلاع فى أية لحظة ! . . فى الصباح الباكر إذا أمكن ! . . وقال والدى إنه سيتصل بالحكومة السودانية لتقديم كل التسهيلات للطائرة . . ولركّابها ! . . وهذا ما أخرنى لأنى كنت فى استقبالها بالمطار ! . .

ثم صمت « خالد » قليلاً ، ونظر إليهم وهو يبتسم ، وقال : الوقت ضيّق . . والرحلة طويلة حقّاً . . ولكن الطائرة النفّاثة ستقطعها فى ساعات قليلة . . والآن . . هل

أنتم مستعدّون ؟ ! !

بُهت المغامرون لما سمعوه من « خالد » ، ولم يصدّقوا آذانهم ! ماذا يقصد « خالد » بقوله هذا ؟ . .

عامر : أتقصد أننا مستعدون للسفر فى هذه الطائرة ؟ . . إلى السودان ؟ للاشتراك فى البحث عن « ممدوح » ؟ ! . .

خالد : نعم . . .

يالها من مفاجأة لم تكن على البال . . يالها من مغامرة ! . . إنهم مستعدون طبعاً ليركبوا المخاطر والأهوال فى سبيل إنقاذ حياة « ممدوح » . . وفى أية لحظة من ساعات الليل والنهار ! . .

فصاحت « عالية » وهى تبكى من الفرح : نحن مستعدون ! الآن !

خالد : حسناً . . سيمرّ عليكم « نمرود » بالسيارة الساعة الرابعة صباحاً ليوصلكم إلى المطار . . وسأكون فى انتظاركم على باب الطائرة . . .

* * *

لم تغفل عيون المغامرين لحظة واحدة حتى الساعة الرابعة صباحاً . عندما وصل « نمرود » بالسيارة .

وكان أهم ما يشغل بالهم هو الدّادة « أم محمد » ! كيف سيخبرونها بهذه الرحلة الخطيرة المفاجئة ! لاشك أنها ستصيح وتولول ، وقد يغمى عليها عند سماعها الخبر ! !

فقالت « **عالية** » : هل سنخبر « أم محمد » بأننا سنطير إلى السودان !

عارف : هذا ليس من الحكمة ! ربما لا تفيق من الإغماء حتى رجوعنا ! !

عالية : إذن بماذا سنفسّر لها سفرنا ؟ ماذا سنقول لها ؟ . .

سمارة : لا شىء ! . . . إنها تعتقد أننا ذاهبون إلى المعمورة ! ! . . وعندما نعود بالعقيد « ممدوح » سنقصّ عليها مغامرتنا ! . . وساعتها سيغمى عليها من الفرح ! . .

انهمك المغامرون فى تجهيز القليل مما سيحتاجون إليه فى مثل هذه المهمة الخطيرة . ولم يخرج ذلك عن القليل من ملابس الرحلات الخفيفة ، التى قد تلائم جوّ الغابات

الاستوائية ! . . أما الباقى فهو مجهّز بالطائرة . .

وكان لا حديث لهم بطبيعة الحال إلاّ عن مغامرتهم الرهيبة المقبلة ، حتى دقت الساعة الرابعة ، ولاح لهم الفجر من النافذة .

* * *

كانت الطائرة النفاثة الصغيرة فى انتظارهم على أرض المطار ، توجهوا إليها فى صحبة « نمرود » ، حيث وجدوا الأمير « خالد » يقف ببابها . فبادره « خالد » بقوله : أسرع يا « نمرود » فالوقت ثمين . .

نظر إليه « **عامر** » فى دهشة ، وقال : هل ستصحبنا يا « نمرود » ؟ . .

نمرود : وهل يمكن أن أتخلّى عن سمو الأمير فى مثل هذه الرحلة الخطيرة ؟ علاوة على أنى سأساعد الطيّار « سلْمان » فى القيادة . .

سمارة : والقيام بالترجمة بيننا وبين رجال القبائل ! ! . .

نمرود : هذا صحيح . . فأنا على دراية تامة بهذه المناطق ! . .

دخلوا الطائرة ، ليجدوا الطيّار « سلْمان » فى استقبالهم بوجه باشّ . كان عملاقاً مثل « نمرود » بلحيته المدبّبة . . وقوامه الطويل . . ومنكبيه العريضين . . ونظراته النفّاذة . .

وماكادت « **عالية** » تراه ، حتى قالت : الويل لمن سيتعرّض لنا . . ومعنا هذين الماردين . . « نمرود » و « سلْمان » ! .

يالها من طائرة ! . . إنها تشبه حجرة فخمة ، بمقاعدها الوثيرة ، ورياشها الثمين . إنها ليست ككلّ الطائرات التى تعودوا ركوبها ! . . وتقدّم منهم « خالد » ليشرح لهم كيف يحوّلون هذه المقاعد الضخمة إلى أسرّة مريحة ، بمجرّد اللمس على زرّ صغير ! . .

وعندئذ سمعوا صوت « سلْمان » وهو يأتيهم عبر « الميكروفون » : سنقلع فى الحال . . والآن ادخلوا إلى فراشكم . . فأمامنا آلاف الكيلو مترات نقطعها حتى نصل

إلى وجهتنا . .

وعندما سمعت « عالية » صوته ، قالت : هيّا بنا إلى النوم . . فنحن لم يغمض لنا جفن الليلة الماضية . .

فرد عليها « عامر » قائلاً : وأمامنا رحلة مثيرة . . ومغامرة خطيرة ، نجهل نتائجها . . فيجب أن نكون على أهبة الاستعداد . .



الجبل الأصفر ! !



الطيار سلْمان

حطّت الطائرة على أرض مطار « الخرطوم » ، وكان المغامرون مازالوا نياماً ، بعد سهر الليلة الماضية الطويل . فلم يشأ « نمرود » إيقاظهم ! . .

وباتصال « سلْمان » بسلطات المطار ، علم أنه تم العثور على ثلاثة من الركاب الأربعة ، وكانوا يهيمون وسط الأدغال الكثيفة . أمّا الراكب الرابع فلم يُعثر له على أثر ، ويعتبر الآن فى حكم المفقود ! . . وكانت قائمة الركّاب الثلاثة الناجين ، لا تتضمّن اسم العقيد « ممدوح » ! ! . .

وبعد أن تزودت الطائرة بالوقود ، وحصل « سلْمان » على الخرائط التفصيلية التى توضّح مكان سقوط الطائرة ، وممّر



أقلع «سلمان» بالطائرة فوراً .. وكان المغامرون ما زالوا نياماً !

الهبوط الصغير وسط الغابات ، أقلع بالطائرة فوراً . وكان المغامرون مازالوا نياماً ! . .

وفجأة ، استيقظوا مذعورين على اهتزاز الطائرة العنيف ، وهى تحطّ بهم على الأرض الوعرة للممرّ الضيق الصغير . وما إن ثابوا إلى رشدهم ، حتى كانت الطائرة قد هبطت سالمة على الأرض .

تقدّم «سلمان» منهم ، وهو يبتسم لهم مشجّعاً ، وقال : انهضوا كفى نوماً . . .

فسأله «**عامر**» وهو يفرك عينيه : ماذا حدث ؟ أين نحن الآن ؟ . . ومتى سنصل ؟ . .

سلمان : لقد وصلنا . . .

نظر المغامرون إلى الخارج من النوافذ الزجاجية المستديرة ، فإذا بهم أمام منظر عجيب ! . . لم يروا غير الأشجار الباسقة الكثيفة الاستوائية ، المتشابكة الفروع والأغصان . وهى تكاد تلامس جناحى الطائرة على الجانبين ، فى شبه جدار أخضر عالٍ ! . .

كيف هبط « سلمان » بطائرته فى مثل هذا الحيّز الضيق ؟ ! . . لاشك أنه طيار بارع قدير ! . .

فتح « سلمان » أمامهم خريطة كبيرة ، وأشار لهم على موقع فيها ، وقال : نحن الآن هنا . . قرب الحدود الأوغندية ! . .

نمرود : قُرب المكان الذى سقطت فيه الطائرة ! . .

ولم يجد « نمرود » فائدة من أن يخبر المغامرين بالحقيقة ! . . لا جدوى من معرفتهم بأن خالهم يعتبر فى حُكْم المفقود ! . . فلن يصدّهم هذا الخبر عن محاولة البحث عنه ! . . ومن يعلم ؟ ربما أثمر بحثهم عن نتيجة ! . .

قال « **عامر** » وهو يتلفّت حوله : نحن الآن فى عالم آخر غير عالمنا فى مصر ! هل تعرف هذه البقعة يا « نمرود » ؟

نمرود : أعرفها جيداً ! واتصلت ببعض قبائلها !

عارف : كيف هى هذه القبائل ؟

نمرود : هناك قبائل كثيرة . . ولكنها منعزلة تماماً عن بعضها ! . . وتعيش على الصيد والقنص ! . .

عامر : ورجالها ؟

نمرود : مسالمون ! . . ولكن توجد بينها بعض القبائل البدائية . . وهذه يجب البُعد عنها . . وتفاديها ! . .

همّ المغامرون بالخروج من الطائرة ، ولكن « نمرود » منعهم وقال : لا تتحركوا . . سأستكشف المكان أولاً ! . .

خرج وهو يحمل بندقيته ، ولكنه لم يجد شيئاً يلفت النظر . . وبعد قليل لحق به المغامرون ، فلم يروا غير الأشجار العالية ، وسلسلة من الجبال ترتفع فى الأفق القريب ! . . إن كل شىء هنا يختلف عما تعوّدوا عليه . حتى الأزهار البرّية الجميلة بألوانها الزاهية . . والحشائش الطويلة . . وحتى الشمس الاستوائية الحارقة . إنه بالنسبة إليهم عالم غريب ! . .

كانت الشمس على وشك الغروب ، فقال « نمرود » : الليل هنا يخيّم سريعاً ! . . ليس أمامنا ما نفعله اليوم . . وسأحاول فى الصباح أن أعثر على بعض رجال القبائل لاستجوابهم . قد نستدل منهم على خيط رفيع قبل أن نبدأ

بحثنا عن العقيد « ممدوح » ! . .

سلمان : سنرقد هذه الليلة بجوار الطائرة على الحشائش . .

نمرود : ونوقد ناراً لإبعاد الحيوانات المفترسة ! وسأتناوب الحراسة مع « سلمان » حتى الفجر .

سمارة : هذا عين الصواب ! . . . العقيد « ممدوح » اختفى هنا . . ولا نريد أن نلحق به !

* * *

وبعد أن أوقد « نمرود » كومة كبيرة من فروع الأشجار اليابسة ، أخرج «سلمان» بعض البطاطين والوسائد من الطائرة ، حيث رقد عليها المغامرون .

وكانت « عالية » تقول وهى ترهف أذنيها : أنا لن أنام هذه الليلة ! . . ما هذا الصوت الذى أسمعه ؟

نمرود : هذا صوت القرود فى الغابة !

عالية : وهذا الصوت ؟

نمرود : هذه أصوات الطيور والببغاوات وهى تنادى على بعضها . . ستستمر هذه الأصوات حتى الصباح ! يجب أن

تتعوّدوا عليها من الآن فصاعداً . .

سلمان : لا خوف علينا طالما هذه النار مشتعلة ! والنوم هنا أفضل من النوم داخل الطائرة .

وما لبث المغامرون أن راحوا فى سبات عميق . على حين ظلّ « نمرود » و « سلمان » يتجاذبان أطراف الحديث . فقال « **نمرود** » : ما كان لنا أن نصطحبهم معنا يا «سلمان» ! كيف سنعثر على العقيد « ممدوح » فى هذا البلد العجيب ! إننا كمن يبحث عن إبرة فى الصحراء ! . .

فردّ عليه « **سلمان** » وهو يتثاءب : سنرى ما يأتى به الغد القريب ! . .

ثم مالبث أن غطّ فى نومه ، بعد أن أصابه الإرهاق من الرحلة الطويلة . فتركه « نمرود » ليستريح ، استعداداً لإيقاظه لتولّى نوبة حراسته . .

* * *

استيقظ المغامرون فى الصباح ، وهم يشعرون بنشاط عجيب ، بعد نوم الليل فى العراء . . تلفّتوا حولهم فلم يجدوا

« نمرود » . فقال لهم « سلمان » وكان يجهز لهم بعض الطعام :
« نمرود » دخل الغابة ! فى محاولة للبحث عن قرية قريبة ! . .

عارف : ومن أدراه بوجود قرية قريبة فى هذه البقعة الموحشة ! فأجاب « سلمان » وهو يشير بأصبعه بعيداً :
هذا ! ! رآه «نمرود» فى الفجر ! . .

نظر المغامرون بعيداً ، فإذا بهم يشاهدون عموداً من الدخان يتصاعد فى الأفق .

فهلّل « **خالد** » وقال : هذه نار موقدة . . والنار تعنى وجود الناس حولها . .

عالية : لعلّه يأتى لنا ببعض المعلومات عن خالنا . . .

سمارة : نرجو ألاّ يقع « نمرود » وسط قبيلة من آكلى لحوم البشر ! !

عالية : ليتنا ذهبنا معه . . مسكين « نمرود » ! إنه الآن وحيد وسط هذه الغابة المخيفة ! . .

خالد : لا تخشى بأساً على « نمرود » يا « عالية » . . إنه

شجاع ، ومتمرّس فى هذه الغابات لا يُشَقّ له غبار ! . .

مرّ اليوم عليهم طويلاً ، وكانت حرارة الشمس اللافحة تشتد كلما علت فى كبد السماء . وما إن جاء الظهر ، حتى كان المغامرون يلهثون من شدّة القيظ . وكان « سلمان » يزوّدهم بشراب الليمون ، يأتى لهم به من الطائرة كلّما شعروا بالظمأ الشديد .

لم يجدوا أمامهم ما يفعلونه غير النوم . بعد أن طال غياب « نمرود » . تُرى ما الذى يفعله فى الغابة ؟ وما الذى أخرّ عودته ؟ . .

أما « سلمان » فكانت عيناه لا تغفل عن الحراسة ، وهو ممسك ببندقيته ، يستعد بها لمفاجآت الغابة ! إنه لم يكن قلقاً على « نمرود » ، فهو يعلم أن عمود الدخان برغم أنه يبدو لهم قريباً فهو فى الحقيقة بعيد عنهم كل البُعد ! . .

وفى المساء ، كان المغامرون يجلسون حول النار فى انتظار وصول « نمرود » ، وهم فى حالة يرثى لها من القلق والخوف على حياته . وما إن بدأ اليأس يحلّ بهم ، إذا بالغابة تنشقّ

عن « نمرود » ، وهو يقف أمامهم منهكاً خائر القوى ! . .

فصاحوا عليه : « نمرود » ! . . أين كنت ؟ . . كنا خائفين على حياتك ! . .

خرّ « نمرود » على الأرض بجوارهم ، وقال : عليّ بقليل من الماء ! . .

فناوله « سلمان » كوباً من الليمون ، شربه فى جرعة واحدة ! . .

وبعد أن التقط أنفاسه ، سأله « عامر » : ما هى الأخبار يا « نمرود » ؟ هل من جديد ؟

نمرود : نعم . . عندى لكم الكثير من الأخبار العجيبة ! . .

جلسوا حوله فى صمت مطبق ، وهو يقص عليهم قصته العجيبة ، فقال : عثرت على معسكر صغير به أربعة رجال خرجوا للصيد . وعندما رأونى وأنا مقبل نحوهم ، انبطحوا أرضاً على وجوههم هلعين مذعورين ! . . .

عارف : وممَّ يخافون ؟ هل هاجمتهم ؟

نمرود : كنت أجهل السبب أول الأمر . . ولكنى اكتشفته بعد أن تفاهمت معهم ، ولكن بصعوبة بالغة . فأنا إن كنت ألمّ ببعض لهجات هذه القبائل . . فإنى لا أتقنها تماماً . .

وبعد تردّد طويل ، قال : إنهم اعتقدوا أننى من رجال الجبل الأصفر ! . . أو الجبل السرّى كما كانوا يسمّونه أحياناً ! . .

عامر : الجبل الأصفر ! . . الجبل السرى ! . . ماذا تعنى ؟

خالد : وهل هناك جبال سريّة . . وجبال علنيَّة ؟

عارف : عليكم بالصبر ! . . استمر يا « نمرود » . .

نمرود : يدّعى هؤلاء الرجال أن هذا الجبل السرى يقع خارج هذه الغابة . وأطلقوا عليه هذا الاسم ، لأن قبيلة عجيبة جعلت من جوف هذا الجبل موطناً لها ! . . وقالوا إن رجال هذه القبيلة يختلفون تماماً عن باقى رجال القبائل المجاورة !

عامر : كيف ؟ أليسوا زنوجاً مثلهم ؟

نمرود : حسبما فهمت منهم . . هم ليسوا سوداً . . أو سُمراً ! . . بل صفْراً فى لون الذهب ! . . ولحاهم وشعورهم حمراء فى لون الدم ! ! . . ولا يسمحون لأحد بمعاشرتهم أو الاختلاط بهم . . أو حتى الاقتراب منهم ! . . وحتى الآن لم يتمكن أحد من العثور على مدخل هذا الجبل الأصفر الغامض ! . .

خالد : أنت تبالغ يا « نمرود » ! ! . .

عامر : هذه قصة عجيبة . . هل حقيقة ما تقوله ؟

نمرود : هذا ما قيل لى . . والجميع هنا يتحاشونهم ويرهبونهم ! . . ويعتقدون أنهم سَحَرَة ! . . وعندما شاهدنى رجال المعسكر ظنّونى واحداً من رجال الجبل الأصفر ! . .

عالية : ألم تسألهم عن خالنا « ممدوح » ؟

نمرود : طبعاً سألتهم . . فقالوا إنهم لا يعلمون عنه شيئاً . . ولكن . . سيصل إلى معسكرنا باكراً أحد رجال

القبيلة ، شاهد بنفسه سقوط طائرة العقيد « ممدوح » ! . .

« صمت نمرود » طويلاً ، وظهر الحزن على وجهه ، ثم قال : ولكنى أصارحكم القول . . إنى أخشى أن يكون العقيد « ممدوح » قد وقع فى أيدى هؤلاء الرجال . . وإنه الآن أسير فى جوف الجبل السرّى الأصفر ! !



انزعج المغامرون لاحتمال وقوع « ممدوح » بين أيدى رجال تلك القبيلة العجيبة ! . . وكان أشدهم اضطراباً « عالية » . فقالت والدموع تنهمر من عينيها : هل صحيح أن خالنا الآن أسير هؤلاء السَّحَرة ؟! . .

بونجو

عارف : والأدهى من ذلك أننا نجهل مقرّ هذه القبيلة ! !

سلمان : ومادام الأمر كذلك . فلن نتمكن من العثور على العقيد « ممدوح » . . فالحرص يقتضى أن نعود بالطائرة إلى « الخرطوم » فوراً . ونأتى بفرقة مجهّزة للبحث عنه ! . . .

فصاح الجميع فى صوت واحد : لا « ياسلمان » . . هذا

مستحيل . .

عالية : سنتولى هذه العملية بأنفسنا ! . . هذه ليست المرة الأولى التى نهبّ فيها لنجدة خالنا « ممدوح » ! . ولنبدأ الآن . . فوراً . . ولا نضيع الوقت . .

وعلى أثر قولها ، اتفق المغامرون فيما بينهم على البقاء حيث هُمْ ! وإذا كان « سلمان » يرغب فى العودة بطائرته إلى « الخرطوم » . فهو حرّ فى أن يفعل ما يشاء ! ! . . أمّا هُمْ . . فليست هناك قوّة على الأرض تثنيهم عن عزمهم ! . . أو تزحزحهم عن هذا المكان !

نظر « سلمان » فى حيرة إلى « نمرود » ، وقال : ما رأيك يا « نمرود » ! . . هل سنبقى ؟

نمرود : أنت تعلم جيّداً يا « سلمان » ! أنى لا أستطيع أن أترك سمو الأمير وحيداً فى هذه الغابة ؟ ! وأنت أيضاً لا تستطيع أن تتركنا هنا فى هذا المكان الرهيب . .

سلمان : إذن لا مفر من البقاء . . وأمرى إلى الله . .

وكان لا حديث هذه الليلة فى معسكر المغامرين . سوى

قصة « نمرود » العجيبة ! . . أين يقع هذا الجبل الأصفر؟ ومن هم هؤلاء القوم ذوو البشرة الصفراء ، والشعور الحمراء . الذين يقطنون جوف هذا الجبل السرّى ؟ وما الذى يدفعهم إلى أسر « ممدوح » ؟ وكيف لهم أن يعثروا على مدخل الجبل . إذا كانت جميع القبائل المجاورة لا تدرى عنه شيئاً ؟ .

إلى أن قال « **نمرود** » : ليس فى مقدورنا الآن أن نفعل شيئاً . . سننتظر وصول الرجل الذى شاهد سقوط الطائرة ليحدثنا عن معلوماته . . والآن حلّ موعد نومكم . . هذه نوبتى فى الحراسة يا « سلمان » . استرح أنت حتى أوقظك . .

* * *

حمل « نمرود » بندقيته ، وجلس كالصقر يراقب أشباح الحيوانات وهى تحوم بعيداً فى أطراف الغابة ، لا تجرؤ على الاقتراب من النار المشتعلة .

كان يفكّر طوال نوبة حراسته فى الجبل الأصفر ، وساكنيه من السَّحَرة الغامضين . كان يفكّر فى المغامرة الرهيبة

التى تلوح لهم فى الأفق ! إنه مغامر شجاع لا يهاب المخاطر والمجازفات ، ولكنه كان يحرص على سلامة مولاه الأمير ، وأصدقائه الصغار المغامرين . . إلى أن انتهت نوبته . وأيقظ « سلمان » ليحلّ محله . .

وبينما كانوا يتناولون إفطارهم فى صباح الغد . إذا بالرجل الذى شاهد سقوط الطائرة يخرج عليهم فجأة من الغابة . وكان فى صحبته ولد صغير ! . .

كان الرجل أسود البشرة كالأبنوس . طويل القامة . شبه عار . ويحمل فى يده بعض الحراب الطويلة . أما الصبىّ فيبلغ من العمر حوالى أربعة عشر عاماً . أسود . نحيفاً . باشّ الوجه . وكان يلبس إزاراً من القش يلتف حول وسطه !

نظر المغامرون إلى هذا الصبى فى دهشة . وقد أَنِسوا إليه من أول لحظة . فقال « عامر » : ومن يكون هذا الصبىّ ؟

نمرود : لا أدرى . . سنسأله عنه . .

وكم كانت دهشة الجميع عندما ردّ عليهم الرجل بلغة عربية ركيكة ، ولكنها مفهومة . قائلاً : اسمى « مانجا » . .

وهذا « بونجو » ابن أخى . . « بونجو » ولد شجاع يساعدنى فى الصيد . .

بونجو : وأنا أيضاً أتكلم العربية قليلاً ! . .

مانجا : تعلّمنا العربية فى « الخرطوم » . . نذهب إليها لبيع جلود النمور والقرود والتماسيح . .

عامر : هل شاهدت الطائرة وهى تسقط فى الغابة ؟ . .

مانجا : كنت أصيد بعيداً عن الجبل الأصفر . . خوفاً من رجال القبيلة الصفراء . . عندما سمعت صوتاً عالياً فى السماء . . ورأيت الطائرة وهى تسقط . . وأربع مظلات بيضاء تهوى متفرقة فى الغابة الواسعة . .

عالية : وهل رأيت خالى « ممدوح » ؟ . .

مانجا : لا أعرفه ! . . بحثنا فى الغابة ثلاثة أيام ، وتمكنـ النمور على ثلاثة أشخاص ! . . أما الرابع فاختفى ! ! . .

عارف : وهل تعرف الطريق إلى هذا الجبل الأصفر

ظهرت علامات الخوف على وجه « مانجا » ، وقال بعـ

تردّد شديد : نعم . . ولكنى لا أعرف الطريق إلى داخل الجبل ! . . لا أحد يعرفه ! !

عامر : هل يمكنك أن تدلّنا إلى هذا الجبل ؟

فهزّ « مانجا » رأسه بعنف دلالة الرفض ، وقال : هذه مجازفة خطيرة . . فالطريق شاق وعر . . والوحوش تملأ الغابة . . وقد يصادفنا ما هو أخطر من هذه الوحوش . . هؤلاء الرجال الصُّفر ! . .

كان المغامرون يستمعون إلى « مانجا » فى هدوء ! ماذا يهمّهم إذا كان الطريق شاقًّا وعرًا . . أو أن الغابة مملوءة بالوحوش المفترسة ، أو بالرجال ذوى البشرة الصفراء . كل ما يهمّهم هو نجدة « ممدوح » . .

وقد يكون هذا الجبل الأصفر ، وما بداخله من أسرار ، أوهاماً تتخيّلها هذه القبائل البدائية ! إنهم لا يتصورون رجالاً صُفر الوجوه . . حُمر اللحى والشعور ! ! ما الذى أتى بهم إلى هذا العالم المنعزل وسط الغابة السوداء ؟ ! ! . .

وأخيراً تكلم « عامر » ، وهو يوجّه حديثه إلى « مانجا » :

أملنا الوحيد فى العثور على خالنا ، هو أن يكون أسيراً بين أيدى هذه القبيلة العجيبة . فى جوف هذا الجبل . ومهمتك معنا محدودة . . وهى أن تدلّنا فقط على طريق الجبل . . وتتركنا هناك ! .

وبعد تردّد وصمت طويل . قال « مانجا » : إذا كان الأمر كذلك فلا بأس . . وأنا غير مسئول عن حياتكم بعد ذلك ! . .

عالية : وهل سيرافقنا « بونجو » ؟

وكان « بونجو » يقف ساكناً باسماً طول الوقت . فقال على الفور : طبعاً . . « بونجو » يعرف الطريق جيّداً . « بونجو » لا يخاف ! . .

* * *

ترأس « مانجا » الطابور . وهو يحمل على رأسه العارى متاع المغامرين . وفى يده الحراب المسنونة . وكان « بونجو » يتذيّل الطابور . لا يفارق « عامر » . يحاول أن يتودّد إليه ليزيل عنه رهبة المكان ووحشته ! . .

دخل الطابور الغابة المظلمة ، ذات الأشجار الضخمة المتشابكة ، والفروع التى تشبه الحبال الغليظة تتدلى منها وتعوق أمامهم السير فى الدروب الوعرة الضيّقة . .

وكان صياح القرود والنسانيس والطيور يملأ فراغ الغابة . ولكنها لم تكن تثير فيهم الشعور بالخوف . إنهم تعوّدوا عليها وهى تتبعهم أينما ذهبوا فى غابات « سملا » بالهند . حتى أصبحت عندهم الآن شيئاً عاديًّا . .

وهكذا استمرت المسيرة حتى العصر ، وابتدأت تخفّ كثافة الأشجار ، ويتخلّل ضوء الشمس من بين فروعها . فقال « **عامر** » : ليست هذه الغابة بالاتساع والوحشة التى كنا ننتظرها ! . .

فأجابه « **نمرود** » وهو يبتسم : « مانجا » يعرف طريقه جيداً . . لقد تفادى السير بنا فى أعماق الغابة ، وسار بنا فى أطرافها ، وإلاّ لاضطررنا إلى شّق طريقنا بالبُلط والفؤوس . .

وعندما وصلوا إلى بقعة عارية ، قذف « مانجا » بحمله

الثقيل من فوق رأسه ، وقال : أنتم فى حاجة إلى الراحة . . سيكون الغد يوماً عصيباً . . سنبيت ليلتنا هنا . . .

كان المغامرون يتذرّعون بالصمت والصبر فى مسيرتهم الشاقة الطويلة . فما إن سمعوا من « مانجا » قوله هذا ، حتى ارتموا على الأرض منهوكى القوى . لقد تحمّلوا ما فوق طاقتهم من جهد وإرهاق . .

أما « بونجو » فبدا لهم أكثر نشاطاً عن ذى قبل ! . . حتى أن « عالية » تعجبت لقوة احتماله الخارقة ، وسألته : ألا تشعر بالتعب يا « بونجو » بعد هذه الرحلة الشاقة ؟

فأجابها ضاحكاً : شاقة ! ! بل كانت نزهة لطيفة ! . . سأذهب الآن داخل الغابة للبحث لكم عن بعض الفواكه البريّة والماء . فالماء هنا نادر ! . .

فلفتت « عالية » نظره إلى بركة ماء قريبة ، فقال « **بونجو** » : ابتعدوا عن هذه البركة . . إنها مملوءة بالتماسيح ! ! . . كانت لى فيها تجربة مريرة ! . .

ثم تقدّم إلى المغامرين ، وأشار إلى عقد يلتف حول

رقبته . وكان هذا العقد عبارة عن خيط تتدلّى منه أربعة أنياب كبيرة حادّة ! . . وقال : هذه أنياب تمساح كاد يلتهمنى فى هذه البركة . . ولكن والدى قتله . . وصنع لى هذا العقد من أنيابه الحادّة . .

عامر : ولماذا تضعه فى رقبتك ؟

بونجو : هذه تعويذة . . تقى حاملها من الشرّ والأذى ! ! . .

سمارة : ما رأيكم فى أن نصطاد الآن تمساحاً . . ونصنع من أنيابه تعاويذ تحمينا من رجال القبيلة الصفراء ! ! . .

عالية : اذهب وحدك يا « سمارة » ، وصد ما شئت من التماسيح ! . ليس هذا وقت المزاح ! . .

وقبل أن يختفى « بونجو » فى قلب الغابة ، كان المغامرون يرقدون فى نوم عميق . فنظر « مانجا » إليهم ، وقال : يجب أن يأخذوا الليلة قسطهم من الراحة التامة . . فسنبدأ فى التسلّق عالياً غداً صباحاً .

* * *

وفى الصباح الباكر ، قادهم « مانجا » فى طريق صاعد ، يصعب تسلقه ، ويقع تحت سفح سلسلة من الجبال العالية . ولكنهم ما لبثوا أن تعوّدوا عليه ، وإن كانت أقدامهم أخذت تنزلق من وقت إلى آخر . أما « بونجو » – وكان لا يفارق « عامر » – فكان كالماعز الجبلىّ . . ثابت القدمين . . سريع الحركة ! . .

وكان « عامر » قد تعوّد على صحبته اللّصيقة ، حتى أنه بدأ يفتقده كلّما اختفى عنه فجأة ، ليبحث لهم عن ماء أو فاكهة ، أوعن زهرة بريّة جميلة ، ليهديها إلى « عالية » ! . .

وهكذا استمروا فى الصعود التدريجىّ ، حتى كادت سيقانهم تعجز عن حملهم . وكانوا يشعرون بالبرودة كلّما زاد بهم الارتفاع . ومع ذلك لم تَبْدُ لرحلتهم نهاية ! . . ولم يلحظوا أى أثر يدل على وجود جبل أصفر . فقد كانت الجبال كلها متشابهة فى صخورها السوداء الملساء ! . .

وكان « نمرود » يحمى ببندقيته القافلة الصغيرة من

الأمام ، و « سلمان » من المؤخرّة ، بعد أن حذرهما « مانجا » من احتمال مهاجمتهم من رجال القبيلة الصفراء الغامضة ! . .

وسأل « **عامر** » تابعه : أما لهذه المسيرة من نهاية ؟ إنى لا أرى جبلاً أصفر ! . .

فابتسم « **بونجو** » ، وقال : نحن الآن فى طريقنا إلى ممرّ يشقّ جبلين ! . . ومن خلال هذا الممرّ ، سيظهر لكم الجبل الأصفر . . واضحاً شامخاً ! . .

عامر : كم أنا مشتاق لرؤيته . .

وأخيراً وصلوا إلى الممر المنشود ، بعد عذاب طويل ، وقبل أن يحلّ الظلام . . توقفت القافلة ، وألقى المغامرون نظرة من خلال الجبلين ، على المنظر الذى ظهر أمامهم فجأة ! . . وقفوا مشدوهين وهم يتطلّعون إلى أعجب منظر يمكن أن يصادفه إنسان ! . . هل ما يرونه أمامهم الآن حلماً أو خيالاً ؟ . .

انعقدت ألسنتهم عن الكلام فترة طويلة ، إلى أن نطق

« مانجا » ، وصاح قائلاً بصوت مرتعش : هذا هو الجبل السرّى ! هذا هو الجبل الأصفر ! . . ها هو ذا أمامكم . . إنه ليس أسطورة !



قال «مانجا» : قد يصادفنا ما هو أخطر من هذه الوحوش . هؤلاء الرجال الصفر

المغامرون فوق الشجرة !

لاح الجبل الشامخ أمامهم واضحاً. كان مخروطى الشكل كقمع السكّر، تنبت على منحدراته الحادّة النباتات والزهور البرية الصفراء. ياله من لون جميل زاهٍ يحاكى لون الذهب الوهّاج !



الأمير خالد

أما أعجب مافيه فهى قمته ! كانت واسعة مسطّحة، مهّدتها الطبيعة وكأن يداً نحتتها وسوّتها !

وكانت «عالية» تتطلع إلى القمة فى ذهول، وهى تتمتم : إنها مستوية كسطح المائدة الكبيرة !..

وأشار «مانجا» إلى القمة بحربته، وهمس فى خوف : سمعت أن رجال هذه القبيلة يخرجون أحياناً إلى القمة، وأنهم

يقفون عليها يتعبّدون إلى الشمس ! ! . .

عارف : أليس من العجيب أن يعيش بعض الناس منعزلين فى مثل هذا المكان ؟ ! . .

نمرود : تعيش بعض القبائل منعزلة فى الغابات . . أو فى الجزر . . أو فى الصحراء . . أما فى مثل هذا الجبل . . فهذا هو العجيب !

عامر : أعتقد أنهم يخرجون من وقت لآخر للصيد فى الغابات المجاورة . . ولهذا علمت القبائل الأخرى بوجودهم . .

سمارة : والغريب فى الأمر أن تكون بشرتهم صفراء وشعورهم حمراء ! وليست سوداء أو سمراء ! . .

نمرود : هذه ظاهرة محيّرة ! . . لم نسمع من قبل أن أناساً لهم بشرة فى صفرة الذهب ؟ وشعوراً فى حُمرة الدم ؟ ! . .

خالد : ولماذا الجدال ؟ . . هذا هو الجبل أمامنا . . فلنصعد إليه ! ! .

كان الجبل يبدو أمامهم قريباً ، ولكنه كان فى الواقع بعيداً عنهم كل البُعد ! . . وكان يفصلهم عنه نهر صغير سريع الجريان . . يتجه مجراه إلى سفح الجبل .

فقال « مانجا » : هذا النهر هو السبيل الوحيد الذى سيقودنا إلى السفح . .

سمارة : كيف ؟ . . سباحة ! ! . .

فضحك « بونجو » وقال : كلا . . وهل نسيت التماسيح ! انتظروا قليلاً . . .

وفى نصف ساعة ، كان « مانجا » و « بونجو » قد انتهيا من صنع ثلاثة أطواف من جذوع الأشجار ، المربوطة بالفروع الطويلة التى تشبه الحبال ! . .

وبعد أن أتما صنعها ، ألقيا بها فى الماء ، وقال « مانجا » : هيّا بنا . . ولكن حاذروا أن يسقط أحدكم فى الماء ! . .

تردّد الجميع طويلاً فى اعتلاء هذه الأطواف . إن ركوبها يحتاج إلى دراية وبراعة ، وهم لم يتعوّدوا عليها من قبل !

فماذا لو سقط واحد منهم وسط هذا التيار الجارف ؟ إنه سيصبح ولا محالة طعاماً للتماسيح ! . .

وكان « نمرود » هو الوحيد فى القافلة الصغيرة ، الذى يبرع فى ركوب الطَّوف . فأخذ معه« عالية » و « خالد » . كما اصطحب « مانجا » معه « عارف » و « سلمان » . أما « بونجو » فقد أصرّ على أن يرافقه « عامر » و « سمارة » .

وهكذا سارت بهم قافلة الأطواف فى طريقها إلى سفح الجبل الأصفر . كانت تهتز وتتأرجح ، وتجتاز الصخور والجنادل التى تعترض طريقهم وسط التيار السريع الجارف !

* * *

وأخيراً وصلوا بسلام وأمان . . .

وما إن وطأ « مانجا » بقدمه أرض الشاطئ ، حتى ركبه الخوف الشديد ، وهو ينظر إلى الجبل الغامض !

أما « بونجو » فكان على عكسه ، غير هيّاب أو وَجل ، باشّ الوجه كعادته . . هل هو شجاع حقيقة ؟ أو إنه مازال

يافعاً لا يدرك الخطر المحيق به ؟ . .

قال « **مانجا** » وهو يرتجف : ها قد وصلنا . . وسأعمل الآن على إخفائكم عن عيون القبيلة الصفراء هذه الليلة . . ولن أتقدم بعد ذلك خطوة واحدة ! وعليكم أن تجدوا طريقة لدخول الجبل وحدكم فى الصباح . . أما أنا فسأرحل إلى قبيلتى فى الحال ! . .

عامر : و « بونجو » ! هل سيبقى معنا ؟

فأجابه « **بونجو** » وهو يغمز بطرفه : سأرافق عمّى إلى معسكرنا ، حتى أطمئن على سلامته ! . .

سمارة : وكيف سنتفاهم وحدنا مع رجال القبيلة ؟

مانجا : هذا شأنكم ! . . ادخلوا الجبل أولاً . . وفكّروا فى وسيلة للتفاهم معهم بعد ذلك ! . .

ثم أشار إليهم أن يتبعوه إلى شجرة باسقة مورقة تقع فى مواجهة الجبل . وقال : سوف نتسلّق هذه الشجرة العالية . . حيث ستنامون على فروعها حتى الصباح . . ولن يكتشف أحد وجودكم ! . .

عالية : كيف نقضى ليلتنا وسط القرود والنسانيس ؟ وإذا تحرّكنا فى نومنا فسنهوى من ارتفاع شاهق وتدقّ أعناقنا ! . .

مانجا : لا خوف عليكم من القرود ! . . وسأتولى مع « بونجو » رباطكم فى الشجرة بالفروع المتسلّقة ! ! . . أسرعوا قبل أن يحلّ الظلام !

تسلّق المغامرون الشجرة فى خفة وسهولة . وتبعهم « نمرود » و « سلمان » وهما يحملان البطاطين . وجلسوا فوق فروعها فى انتظار « مانجا » و « بونجو » اللذين كانا يقطعان الفروع الطويلة المتسلّقة .

وكان صياح القرود يصم الآذان من حولهم ، احتجاجاً منها على اقتحام هؤلاء الدخلاء لموطنها ومأواها ! . .

وبعد أن تدثّروا بالبطاطين درءًا للبرد فى هذا الارتفاع الشاهق ، تولّى « مانجا » و « بونجو » قيدهم بعناية ، حتى تعذّرت عليهم الحركة ! أما الحارسان « نمرود » و « سلمان » فقد قيدهما « مانجا » وهما جالسان يحملان سلاحهما ،

ويستندان إلى جذع الشجرة ! . .

وكانت « **عالية** » تضحك وهى تقول : وماذا لو هاجمنا الآن حيوان مفترس ؟ سنصبح له فريسة سائغة ! . .

وبعد أن انتهى « مانجا » من مهمته ، قال لهم وهو يسرع فى النزول : والآن سأترككم فى عناية الله . . لقد انتهت مهمتنا عند هذا الحد ! . .

وكان « بونجو » يبتسم كعادته ، ويلوح لهم بيده ، ويصدر إشارات برأسه وعينيه لم يفهم المغامرون لها معنى ! . .

* * *

طلع النهار عليهم بعد ليلة ليلاء قضوها فى نوم متقطّع . كانت القرود والنسانيس تقفز فوق رءوسهم ، وهم لا يستطيعون لها درءًا ! ! . . وعندما استيقظوا فى الفجر ، كانت أطرافهم قد شُلّت تماماً عن الحركة ! . .

وبعد أن انتهى « نمرود » من فكّ قيدهم ، جلسوا ينظرون إلى الجبل القريب ؛ وقد انبهروا من منظره الرائع

الخلاب . ياله من لون ذهبىّ غريب يكسو جوانبه المائلة فى انحدار شديد !

ولم يكن هذا اللون الفريد هو الذى شدّ انتباههم ! ولا ارتفاع قمته الشاهقة التى تكاد تمس أطراف السماء ! . . بل شدهم انحداره المخيف الذى يكاد أن يكون رأسيًّا ! . .

نزلوا جميعاً وافترشوا الحشائش تحت الشجرة ، يستظلّون بأفنانها المورقة من أشعة الشمس الحارقة .

فقال « **عامر** » وقد بدت خيبة الأمل على وجهه : لا يمكن تسلّق هذا الجبل ! . .

عارف : وإذا كان التسلّق ممكناً . . فالنزول يكون مستحيلاً !

عالية : إذن كيف سنعثر على خالنا ؟ ! . .

نمرود : قال مانجا » ، إنه سمع من رجال القبائل أن من يريد دخول الجبل . . فعليه اختراق الصخر ! ! . .

خالد : وكيف نخترق الصخر ؟ ! . هذه أساطير يتشدّق بها رجال القبائل ! . .

سمارة : هذا ما فعله « على بابا » ! ! وقف أمام الجبل ونادى « افتح يا سمسم » ! . . فانفتح الجبل ! ! . .

عالية : هذه فكرة نيّرة يا« سمارة » ! . . كان على بابا » يقف أمام الجبل ينادى « افتح ياسمسم » ! . فتنزلق عنه صخرة كبيرة . . ويدخل المغارة ! ! . . هذا ما سنفعله ! . .

عامر : وحتى إذا صحّ هذا معنا هنا . . فكيف سنعثر على مثل هذه الصخرة فى هذا الجبل الضخم ! . .

عارف : فى إمكاننا أن نكتشف ذلك بسهولة ! !

عامر : كيف ؟

عارف : أن نتسلّق الشجرة ، ونرابط بين فروعها نراقب الجبل . . إلى أن يفد رجال القبيلة ! ونرى كيف يدخلون الجبل ! ! . . أو يخرجون منه ! . .

نمرود : قد نمكث هنا طويلاً دون طائل . . ولا يظهر منهم أحد ! . .

عارف : ليس أمامنا غير هذه الوسيلة ، حتى لو مكثنا

شهراً ! لن نرجع قبل أن ندخل هذا الجبل . . .

وبعد مداولات طويلة فيما بينهم ، لم يجدوا أمامهم بداً من تنفيذ فكرة « عارف » . على الأقل إلى أن يكتشفوا وسيلة أخرى . .

فتسلّقوا الشجرة من جديد ، واتخذ كل منهم مكاناً حصيناً يراقب منه الجبل ! . .

كانوا يتبادلون الحديث قتلاً للوقت . وعيونهم لا تغفل عن الجبل . فقالت « عالية » : لو كان « بونجو » معنا الآن . . لأتى لنا بالماء والفواكه والزهور ! . .

وهكذا استمرت المراقبة حتى أقبل الليل ، وحان موعد النوم ، فاقترح « خالد » أن يفترشوا الأرض تحت الشجرة ، وقال : لن ننام مربوطين فى فروع الأشجار بعد الآن ! . . تكفينا تجربة الليلة الماضية القاسية ! . .

ولكن « نمرود » قال له معترضاً : هذا مستحيل ! إذ لابد فى هذه الحالة من إيقاد النار لطرد الحيوانات المفترسة ! وإذا فعلنا ذلك سيراها رجال القبيلة فيفتكون بنا ! . .

فنصبح كالمستجير من الرمضاء بالنار ! . .

رضخ المغامرون أمام الأمر الواقع . وكان « عامر » يشجّعهم بقوله : « نحن لسنا فى نزهة خلويّة . . وإذا كانت هذه المغامرة ستقودنا إلى إنقاذ خالنا « ممدوح » . . فسيهون علينا هذا العذاب ! . .

* * *

كان « نمرود » متيقظاً ، وهو يقوم بنوبة حراسته قبل بزوغ الفجر . وإذا به يسمع حفيفاً يصدر بالقرب منه بين الفروع والجذوع المتشابكة .

ما هذا الصوت ؟ إنه ليس صوت طائر أو حيوان صغير ! أيكون فهداً تسلّق الشجرة ليختار فريسته من بين المغامرين ! إنه يعرف أن الفهد هو سيّد الغابة فى تسلّق الأشجار فى صمت وخفة ومرونة ! . .

فأيقظ « سلمان » وكان نائماً بجواره ، وهمس له : استيقظ يا « سلمان » فنحن فى خطر ! . . أعتقد أن فهداً يحوم حولنا ! . .

كان الظلام حالكاً . فصوّب بندقيته صوب الصوت . ووضع أصبعه على الزناد استعداداً لإطلاق النار . .

ولكنه ماكاد يفعل ذلك ، حتى سمع صوت همس يقول : لا تطلق النار . . أنا « بونجو » ! ! . .

نمرود : « بونجو » ! . . يالها من مفاجأة . . كيف رجعت بهذه السرعة ؟

زحف « بونجو » نحوه بصعوبة بالغة . كان فى حالة يرثى لها من الإنهاك ، على أثر الرحلة الطويلة الشاقة التى اخترق فيها الغابة السوداء ، وحيداً أعزل . . ذهاباً وإياباً ! . .

بونجو : رجعت لمساعدتكم . . أنا الآن فى حاجة إلى النوم . .

قال هذا وزحف وسط المغامرين ، يبحث عن « عامر » . . ليرقد إلى جواره . .

* * *

الطريق إلى داخل الجبل !

اندهش « عامر » عندما استيقظ فى الفجر . ليجد « بونجو » يرقد بجواره ! فأيقظه ، وصاح فيه : « بونجو » ! حاذر لئلاّ تسقط من فوق الشجرة . .

بونجو :لا تخف ! « بونجو » لا يسقط . . لقد تعوّدت على ذلك ! . .



نمرود

صحا المغامرون ، وكان فرحهم برؤيته عظيماً . ها هو ذا « بونجو » الوفىّ المخلص عاد إليهم . لاشك أنهم سيكونون فى أشدّ الحاجة لمساعدته وخبرته ! . .

وبعد أن هبطوا إلى الأرض ، وتناولوا إفطارهم ، قال « عامر » : والآن سنبدأ فى استكشاف هذه الناحية . .

نمرود : يجب الاحتراس الشديد ! إذ من المحتمل أن يكون رجال القبيلة الصفراء قد عرفوا وجودنا ! . .

خالد : ولِمَ الخوف . . ألسنا مسلحين بالبنادق ؟

عالية : سأسير بجوار « نمرود » و « سلمان » ! ! . . لأحتمى بهما !

سلمان : يحسن بك أن تفعلى ذلك . .

عامر : لابدّ أن نفعل شيئاً . . يجب أن نبدأ حالاً !

حملوا متاعهم القليل ، وساروا بجوار سفح الجبل . كانت المسيرة شاقة ، ولكن كان « بونجو » يسير فى المقدمة ، ينتقى لهم أسهل الدروب وأقصرها . .

وبعد نصف ساعة من السير الحثيث حول الجبل ، توقفوا فجأة على صوت غريب يأتيهم من بعيد . فقال « عامر » : ما هذا الصوت العجيب الذى نسمعه ؟ ! . .

فضحك « **بونجو** » ، وقال : هذا صوت المياه العالية ! ! . .

نمرود : ماذا تقصد بالمياه العالية ! هذا صوت رعد ! !

عارف : أظنه يقصد صوت الشلال ! ! . .

عامر : فعلاً هذا صوت هدير شلال ! وصوته يبدو أقرب مما نظن . .

تابعوا السير خلف « بونجو » ، وكان هذا الصوت المدوّى يعلو كلّما تقدموا فى السير . إلى أن لاح أمامهم فجأة منظر الشلال !

كانت مياه الشلال الجارفة تسقط من فتحة كبيرة عالية وسط حائط الجبل ، ورذاذها يتناثر فى الهواء كالضباب الكثيف ! فوقف المغامرون أمام هذا المنظر الخلاّب ، وهم يشعرون بالذهول والرهبة !

وأخيراً نطقت « عالية » : هل تذكرون ؟ . . إنه يشبه الشلاّل الذى اكتشفناه فى الوادى الرهيب ! . .

عارف : ولكن هذا الشلالَ أكبر كثيراً ! . . أعتقد أن نهراً يجرى داخل الجبل . . ويصبّ مياهه من هذه الفوّهة الواسعة !

كان عليهم أن يلتفّوا حول بحيرة واسعة خلّفتها مياه

الشلاّل . وكان « بونجو » يحدق بنظراته الحادة فى مياه البحيرة ، إلى أن اكتشف فيها موضعاً ضحلاً ، يمتلئ بالصخور الناتئة ، ويؤدىّ إلى سفح الجبل !

فأشار إليهم على هذا الموضع ، وقال : من هنا ! . .

عامر : أعتقد أنه يمكننا اجتياز هذه البحيرة من هذا المكان الضحل . .

خاض « بونجو » فى الماء حتى ركبتيه . وأخذ يقفز كالماعز من حجر إلى حجر . وتبعه الجميع .

اجتازوا البحيرة بسلام ، ووصلوا إلى سفح الجبل عند صخرة ضخمة شاهقة . وبينما هم يلتفون حولها ، إذا بهم يسمعون أصواتاً ! . . فتسمّرت أقدامهم فى الأرض ، وكتموا أنفاسهم من الخوف والهلع ! . .

كانت هذه الأصوات خشنة جافة ! أتكون أصوات بعض رجال القبائل المجاورة القريبة ؟ . . أم إنها أصوات رجال قبيلة الجبل الأصفر ؟ ! . .

أشار لهم « بونجو » بالتزام الصمت التام . ثم زحف على

بطنه كالأفعى . حتى وصل إلى مكان أمين يكشف منه مصدر الصوت .

وكان المغامرون يراقبونه بلهفة ، عندما رأوه يتوقف فجأة عن الزحف . وقد بدت مظاهر الفزع الشديد على وجهه ! . .

التفت « بونجو » إليهم . وكأنه يستنجد بهم ! تردّدوا طويلاً فيما يفعلون ؟ وأخيراً لم يجدوا مفرًّا من أن يتبعوه . فزحفوا على بطونهم فوق الحشائش والأشواك والأحجار إلى أن لحقوا به . .

وما كادوا يطلّون على المنظر الذى ظهر أمامهم واضحاً ، حتى كادت شعورهم تقف من هول ما رأوا ، وانعقدت ألسنتهم كمن أصابته صدمة ! . .

أخيراً ! . . ها هم أولاء رجال الجبل الأصفر يقفون أمامهم عن قُرب ! . . لاشك أن « مانجا » لم يكن مغالياً فى وصفه لهؤلاء الرجال ! حقيقة أن بشرتهم فى لون الذهب الأصفر . . وشعورهم ولحاهم تكتسى بلون أحمر ملتهب ! ! . .

ولكن ما كان يجرى أمامهم جعلهم ينسون الوجوه الصفراء والشعور الحمراء ! . فقد توجّه بعض الرجال إلى موضع من الحائط الصخرى للجبل الأصفر ، وأخذوا يدفعونه إلى الخلف . وإذا بباب ضخم يدور حول محور ، وينفتح عن مدخل واسع وسط الحائط ! وكان لاحتكاك الباب الصخرى وهو يدور صرير عال مزعج كاحتكاك شقّى رحى ضخمة ! . .

ثم ولج الرجال الصُّفر إلى داخل الجبل ، حيث اختفوا عن الأنظار . وبعد قليل انزلق الباب ، وسدّ الحائط الصخرى .

وبعد فترة طويلة من الصمت ، قال « عارف » : إذن هذا ما كان يعنيه « مانجا » عندما قال : عليكم باختراق الصخر لتدخلوا الجبل ! ! . .

عامر : والآن . . ماذا سنفعل بعد أن عرفنا الطريق إلى الداخل ؟

عالية : سندخل طبعاً ! ! . .

عارف : يجب علينا أن نتريث . . وننتظر حلول الظلام . .

نمرود : هذا عين العقل . . وسيجد لكم « بونجو » مخبأً أميناً حتى يحين الوقت . . أما أنا فسأرى ما يمكن أن أفعله . . ولا خوف علىّ طالما هذه البندقية فى يدى ! . .

كان المغامرون يقبعون فى مخابئهم بين الشجيرات الكثيفة والحشائش الطويلة . أمّا « عامر » و « بونجو » فقد تسلّقا شجرة عالية ، يراقبان المدخل بصبر نافد ! . .

وعندما خيّم الظلام ، تسلّل « نمرود » إلى الباب الصخرى العجيب . ولم يكن من السهل أن يعثر عليه فى الظلام الدامس . فأخذ يدفع الصخر هنا وهناك بذراعيه الفولاذيتين . وبغتة علا صوت الصرير والاحتكاك المزعج ، يرنّ صداه فى أرجاء المكان ! . . فاندفع إلى الخلف يحتمى فى ظل صخرة ، خوفاً من أن يكتشفه سكّان الجبل الأصفر ! . .

انتظر طويلاً . . ولكن لا حسّ ولا خبر من أحد ! لم

يكن يسمع سوى صوت مياه الشلال . . ونقيق الضفادع . . وصياح القرود ! . .

وكان المغامرون يرتجفون من الترقّب ، ويهتزّون من الإثارة ، وهم يتطلعون إلى الباب المفتوح أمامهم ! .

وأخيراً لم يطق «عارف» صبراً ، فقال : هيّا يا «نمرود» نحاول الدخول . . أظنهم لم يسمعوا هذا الصوت ! . .

تحرّك «نمرود» إلى الأمام ودخل من الباب . . وتبعه «عارف» و«سمارة» و«خالد» . ثم «سلمان» وهو يمسك بيد «عالية» . .

وكان «عامر» و«بونجو» يستعدان للهبوط من فوق الشجرة العالية للحاق بهم . ولكنهما ما إن وصلا إلى الباب حتى وجداه مغلقاً . لم يجدا أمامهما غير الصخر الأملس ! فصاح عليهم «عامر» بأعلى صوته : ماذا حدث ؟ افتحوا الباب ! . . أين أنتم ؟ . . هل أنتم بخير ! . .

ولكنه لم يسمع غير صدى صوته يرتدّ إليه من الصخر الأصم ! فأخذ يدّق بيديه على الباب ، ويدفعه بكل ما أوتى

من قوة . . . ولكن دون جدوى ! . . كان كمن ينطح الصخر ! . .

وقف وهو ينظر إلى «بونجو» فى ذهول ، وقال : إنى لا أفهم شيئاً . . ما الذى حدث ؟ ! . .



المفاجأة المذهلة ! !

ما حدث هو أن المغامرين دخلوا وراء « نمرود » من الباب الصخرى . ولكنهم ما كادوا يشاهدون ما أمامهم ، حتى جحظت عيونهم ، وتوقفوا عن الحركة ، حتى أنهم لم يشعروا بالباب الصخرى ، وهو يُغلق وراءهم ! . .

عالية

فوجئوا ببهو واسع عالى الجدران ، تشعّ فى أرجائه الأضواء الساطعة ! وفى وسط البهو دَرَج طويل منحوت فى الصخر ، يهبط عليه عدد غفير من رجال القبيلة الصفراء ، يتقدّمون نحوهم فى بطء .

كانوا يرتدون أثواباً فضفاضة زاهية ، ويحملون فى أيديهم

عصيًّا ذهبية ، تشبه « الصولجانات » ! . .

وكان يتزعمهم رجل طويل القامة ، أصفر الوجه ، أحمر اللحية والشعر ، برّاق العينين ، وأخذ يتحدث إلى « نمرود » بلهجته ، وبإشارات من رأسه ويديه ! . .

فالتفت « نمرود » إلى المغامرين ، وقال : على قدر ما فهمت منه . . هو يأمرنا أن نتبعه ! . .

ثم إلى « سلمان » وقال : وأنت يا « سلمان » . . استعد ببندقيتك ! . . فهم لا يعرفون البندقية . . ولم يروها فى حياتهم ! !

سلمان : أنا مستعد ! . . ولكن لا فائدة من استعمالها الآن ! فهم كثيرو العدد ! . .

عارف : الأجدر بنا أن نتمهّل حتى تنجلى الأمور . .

عالية : والحمد لله أن « عامر » و « بونجو » فى أمان خارج هذا الكهف ! . .

تقدمهم الزعيم وهم يتبعونه وسط حراسة مشدّدة من رجاله الأشداء ! كانوا يخترقون البهو الواسع وراء البهو .

ويصعدون الدرجات الصخرية ويهبطون منها ، وكلها مضاءة بالأنوار الساطعة . وكانت الرسوم البدائية الملوّنة للحيوانات والزواحف والأشجار تزيّن الجدران والحوائط الصخرية ! . .

وأخيراً انتهت بهم رحـــلة العجائب داخل الجبل الأصفر ، إلى بهو واسع ، جدرانه مرصّعة بأحجار ذهبية . يسطع ضوؤها فى أرجاء المكان . وفى صدر البهو ، رأوا منصّة عريضة مفروشة بالسجاجيد والطنافس المزخرفة بالرسوم الملوّنة . وكانت تجاورها مائدة حجرية . تصطف عليها الأوانى المملوءة بالماء واللبن ، والخبز .

جلس المغامرون على المنصّة يستريحون مما أصابهم طول اليوم العصيب من تعب وإرهاق ، بعد أن تركهم الرجال الصُّفر ، وأوصدوا عليهم باباً خشبيًّا متيناً ! . .

وكانت « عالية » تشعر بالجوع والعطش ، فتقدمت من المائدة ، وتناولت جرعة من اللبن ، وقطعة من الخبز . وما لبث الباقون أن حذوا حذوها ، حتى شبعوا وامتلأت

بطونهم . .

وكان « **سمارة** » يهمس لهم : كلوا واشربوا . . من يعلم ماذا سيحدث لنا بعد ذلك . .

عالية : ربما تمكن « عامر » و « بونجو » من إنقاذنا ! فهزّ « نمرود » رأسه فى أسف ، وقال : لا أمل فى ذلك ! . . حتى لو تمكنا من فتح الباب الصخرى . فسينضمّان إلينا فى هذا السجن ! . .

عالية : هل تظن أننا سنعثر على خالى « ممدوح » ؟

عارف : أعتقد أنه يوجد فى مكان ما داخل هذا الجبل ! . .

نمرود : هذا جائز . . ولكن أين ؟ . . وكيف سنعثر عليه ! . .

ولم يكن أمامهم ما يفعلونه سوى النوم . فرقدوا على الطنافس الثمينة الوثيرة . وما هى إلاّ دقائق حتى راحوا فى سباتهم ! . . أما الحارس الأمين « نمرود » فجلس مستنداً إلى حائط ، لا تغفل عيناه عن المراقبة . . وبندقيته فى يده


نظر «عامر» وقال : يا للكارثة ! الجميع أسرى فى الداخل

وبجواره رقد «سلمان» . . ليتناوبا الحراسة !

* * *

تركنا «عامر» خارج الجبل وهو يدقّ الصخر بيديه ، و«بونجو» يقف بجواره ، وأسنانه تصطك من الرّعب . .

نظر «**عامر**» إليه فى حيرة وقال : ياللكارثة ! الجميع أسرى فى الداخل . . ونحن عاجزان عن مساعدتهم ! ماذا نفعل الآن ؟ . .

فأجابه «**بونجو**» : سننام . . لا يمكن عمل شىء الآن ! . . سأجد وسيلة فى الصباح ! . .

رقد «عامر» على كومة من القش صنعها له «بونجو» الذى جلس بجواره لا تغفل له عين . وكان يقدح فكره فى طريقة يدخل بها هذا الحصن الغامض المنيع ، من مكان آخر غير هذا الباب المقفول ! . .

إلى أن هداه تفكيره إلى شلاّل المياه المتدفق من فتحة فى وسط حائط الجبل ! . . هل يمكن أن يتسلّل من خلال هذه الفتحة إلى الداخل ؟ هذا أمر هيّن ! فما عليه إلاّ أن يتأكد

من ذلك بنفسه ! . .

فنهض بعد أن اطمأن على نوم « عامر » وانسلّ فى هدوء ، وأخذ يعدو بأقصى سرعته ، حتى وصل الشلاّل . .

كان منظر الشلال رائعاً مهيباً وهو يقف تحته . ورذاذ مياهه الباردة يُغرق وجهه وبدنه الأسود العارى . . وكان صوت هدير المياه يتضخّم فى سكون الليل . حتى بدأ الخوف يتملكه !

لم يكن « **بونجو** » جباناً .. فهو لا يهاب الحيوانات المفترسة ، أو الزواحف السامة ! ولكنه كان يخشى هؤلاء الرجال الصُّفر . ذوى الشعور الحمراء ! . . إنه لم يرهم مثيلاً من قبل ! . . إنهم يبدون له كأرواح شريرة تهيم فى الغابة السوداء ! . .

فما كان منه إلاّ أن تحسّس بيده تعويذة أنياب التمساح التى تلتف حول رقبته ! الآن فقط لن يصيبه شرّ أو ضرّ ! ! .

تذرّع بالشجاعة ، وتسلّق الصخر بأقدام ثابتة خلف مياه الشلاّل الباردة التى كانت تنهمر فوقه . وترطّب جسده

الساخن . إلى أن وصل قريباً من الفتحة . كانت المياه تندفع منها فى قوة خارقة ، وفى صوت يهدر كالرعد القاصف يصمّ الآذان . .

تقدم قليلاً عند طرف الفتحة حيث تسقط المياه ، فرأى نتوءاً بارزاً يشبه الرصيف . لا يعدو عرضه عن نصف متر ، ويمتد داخل الجبل فى محاذاة حائط النفق الصخرى . الذى نحتته المياه الجارية منذ ملايين السنين ! . .

اكتفى « بونجو » بما شاهده ، وأسرع فى العودة إلى « عامر » .

وكان « عامر » قد استيقظ وهو يرتعد على صوت زئير فهد ! . . أو ربما كان أسداً أو نمراً ! . . إنه لا يميّز بين أصواتها فكلها سواء ! . . وعلى كلّ حال سيّان عنده كان هذا أو ذاك ! . . فأىّ منها كفيل بأن يفترسه فى لمح البصر ! . . فتلفت حوله يبحث عن « بونجو » فلم يجده ! أين ذهب هذا « العفريت » ؟ !

وإذا « **ببونجو** » يصل وهو متهلّل الوجه ، وقال :

أَبْشِر ! . . سندخل الجبل فى الحال ! . .

عامر : كيف ؟ هل فتحت الحائط الصخرى ؟

بونجو : لا . . بل سندخل من الشلال ! ! هيّا بنا اتبعنى ! ! . .

نظر إليه « عامر » فى شك . أجُنَّ « بونجو » أم أصابته لوثة مفاجئة ؟ ! . .

لم يكن أمام « عامر » إلاّ أن يتبعه . فسارا معاً إلى أن وصلا الشلاّل . ثم تسلّق « بونجو » الجرف الصخرى ، واقتفى « عامر » خطاه ، حتى وصلا قُرب الفتحة الواسعة .

نظر إليها « عامر » مليًّا ، وصاح بأعلى صوته . حيث كان صوت هدير المياه يطغى على صوته . وقال : هل أنت مجنون يا « بونجو » ؟ ما الداعى لأن تأتى بى هنا ؟ كيف سنقاوم هذه المياه ، وهى تتدفّق بسرعة لا تقل عن مائة كيلو متر فى الساعة ؟ ! . .

ولكن « بونجو » لم يكن مجنوناً ! . . فابتسم وهو يسحبه من يده ويسير به فى حذر من الانزلاق خلف مياه الشلاّل .

إلى أن وصل إلى طرفه المقابل ، وقال : من هنا . . سندخل من هنا ! . .

فصاح « عامر » وهو ينظر إلى الرصيف الضيّق البارز فوق سطح الماء المتدفق : أظنك على حقّ يا « بونجو » ! . . يمكننا أن ندخل ! . . أمّا إلى أين . . فالله وحده يعلم . .

سارا وهما يتمسّكان بالصخور الناتئة فى حائط النفق ، خوفاً من الزلل على أرضية الرصيف المبلّلة . إن حياتهما الآن معلّقة على زلّة واحدة ، ليجرفهما التيار السريع إلى أسفل الجبل ! . .

كان الرصيف يرتفع حوالى رُبع متر فوق سطح المجرى المائى ، ويمتّد إلى مسافة بعيدة فى جوف الجبل . وكانا كلّما تقدما إلى الأمام خفّ صوت هدير الشلال . إلى أن اختفى تماماً ، ولم يعودا يسمعان غير صوت سريان المياه فى النهر الصغير ! وكان الظلام حالكاً ، فضوء الشمس لم ير هذا المكان منذ بدء تكوينه ! إلى أن تعودت عيناهما على الظلام ، تساعدهما فى ذلك الأضواء الخافتة التى كانت تشع

من الأحجار الفوسفورية التى ترصّع الجدران والسقوف ! . .

وأخيراً توقفنا بعد أن وصلا إلى مفترق من الطرق .

فسأل « **عامر** » : فى أى طريق سنسير . .

بونجو : انتظر هنا ولا تتحرّك . .

تركه « بونجو » وأسرع فى طريق جانبى ، وظلّ « عامر » فى مكانه ينتظر على مضض ! وبعد فترة قصيرة حسبها دهراً . ظهر « بونجو » . وعلامات الإثارة والخوف تظهران على وجهه ، وأشار إليه أن يتبعه .

تبعه « عامر » فى صمت وحيرة ، إلى أن وجد نفسه فجأة أمام دَرَج صخرى طويل صاعد . وفى أسفل الدرج ، يتدلّى مصباح كبير ، يضىء المكان بنور أخضر خافت ، يضفى على المكان الروعة والرهبة ! . .

فهمس « **عامر** » : هل سنصعد ؟ أعتقد أن هذا السلّم سيقودنا إلى قمة الجبل ! . .

فأومأ « بونجو » برأسه ، وارتقيا السلم العالى بسرعة .

وبعد صعود متواصل مرهق ، قال « عامر » : لنسترح هنا قليلاً . .

جلسا على الأرض فى صمت وهما يلهثان من التعب . وما كادا يلتقطان أنفاسهما ، حتى سمعا على بعد منهما صوت صرير باب يُفتح ، أعقبته جلبة وضوضاء ! . .

وياهول ما رأوا ! . . ها هم أولاء رجال القبيلة الصفراء يتدفّقون من الباب إلى السلم ! ها هم أولاء بأصواتهم الخشنة الجافة ، وببشرتهم الصفراء الباهتة ، وبشعورهم الحمراء المتوهجة ، وبملابسهم الفضفاضة الزاهية ! . .

ذُعر « عامر » وأمسك بذراع « بونجو » الذى كان بدوره فى حالة يرثى لها من الهلع ، وهمس فى أذنه : إذا نزلوا إلينا فسيكتشفون وجودنا ! . . وكانت فى ذلك نهايتنا ! . . ادعُ الله معى أن يذهبوا فى الاتجاه العكسى إلى فوق ! . .

الحمد لله . . لقد استجاب الله إلى دعائهما . فبعد أن أقفل الرجال الصُّفر الباب المتين بالمزلاج ، صعدوا السلّم ،

دون أن يلتفت أحد منهم إلى أسفل ! . .

وبعد أن اختفى الرجال ، وساد الصمت ، نظر « عامر » إلى « بونجو » — وكان يتحسّس تعويذته بأنامله — وقال : تُرى من يكون فى هذه الحجرة ؟ أتظنهم جماعتنا ؟ . .

بونجو : لا أدرى . . ربما . . إذا كانوا فى الداخل يمكننا أن نسمع أصواتهم ! . .

عامر : هيّا بنا نتصنّت على الباب . .

صعدا السلم فى خفة وحذر . واقترب « عامر » وألصق أذنه على الباب . ولكنه لم يسمع شيئاً !

أهو الباب « السميك » الذى يكتم الصوت ؟ أم إن الحجرة خاوية ؟ وإذا كانت الحجرة خالية ، فلماذا يُحكِمُ الرّجال غلقها بالمزلاج ؟ . .

ثار فى « عامر » حبّ الاستطلاع ، والتطلّع إلى ما فى داخل هذه الحجرة . وكان المزلاج ضخماً يبدو كأنّ من المستحيل زحزحته ! ولكنه حاول فتحه . . فانزلق فى سهولة ! . .

دفع الباب ، ونظر إلى داخل الحجرة الواسعة . ولكنه لم يسمع صوتاً أو همساً ! ! . . لو كانت جماعته فى هذه الحجرة ، لصاحوا وهلّلوا عليه ! . . ولو كانوا من رجال القبيلة لقبضوا عليه ! . .

تقدّم بضعة خطوات إلى الأمام فى جرأة وشجاعة . ثم وقف وسط الحجرة ينظر فى أرجائها على ضوء مصباح خافت .

وفجأة دوّى فى الفضاء صوت يصيح : « عامر » ! ! أهذا حقيقة أنت يا « عامر » ! ! . .

يالها من مفاجأة مذهلة . . انخلع لها قلب « عامر » ! ! . .



عارف

يالها حقًّا من مفاجأة مذهلة ، انخلع لها قلب « عامر » .. كما انخلع لها أيضاً قلب العقيد « ممدوح » ! !

نعم .. فقد كان الصوت صوت « ممدوح » ! ! ..

كان « ممدوح » يرقد منهك القوى على سجادة فى ركن من الحجرة ، يراقب الباب وهو يُفتح ببطء . لقد ظنّه أول الأمر أحد رجال القبيلة يأتى له بالماء والطعام . ولكن كم كانت مفاجأته عندما وجد « عامر » أمامه ! .. إنه آخر من كان ينتظر أن يراه فى هذا المكان ! ..

فهبّ واقفاً وهو لا يصدق نفسه . وأخذ يصيح فى هستيرية : « عامر » ! .. أهذا هو أنت يا « عامر » ! ! ..

أين « عالية » .. و « عارف » .. و « سمارة » .. أين هم ؟ .. ماذا جاء بكم هنا ؟ ..

عامر : لا وقت للكلام ياخالى .. يجب أن نسرع الآن .. وسنتحدث فيما بعد ! ..

بادروا فى الخروج ، وهبطوا السلم الحجرى على عجل . وكان « عامر » يقصّ عليه مغامرتهم باختصار ، إلى أن انتهى به الحديث إلى ما جرى لإخوته ومن معهم على أيدى رجال القبيلة الصفراء !

ممدوح : أتعنى أنهم الآن جميعاً أسرى بين أيدى هؤلاء الرّجال ؟ ! ..

عامر : نعم .. ولا نعلم أين مكانهم ..

ممدوح : يا إلهى .. هؤلاء الرّجال الصُّفر ينوون بنا شرًّا مستطيرًا ! .. إنهم من عَبَدَة الشمس ! ! ! ..

عامر : عَبَدَة الشمس ؟ ! هؤلاء الرجال يعبدون الشمس ! ! ..

ممدوح : نعم .. وأعتقد أن لهم معبداً فوق قمة هذا

الجبل ، يقدّمون فيه القرابين والضحايا إليها ! !

عامر : أتقصد أنهم سوف يضحون بنا من فوق القمة لإرضاء الشمس إلهتهم ! ! . .

ممدوح : نعم . . ومهمتنا الآن أن نمنعهم من ذلك . .

عامر : إذن لن نخرج قبل العثور على إخوتى وإنقاذهم . . إنهم فى مكان ما بالجبل ! . . .

وكان « بونجو » يتابع حديثهما وهو صامت كان يفكر : ماذا يعنى هذا الرجل بقوله « عَبَدَة الشمس » ؟ والقرابين ؟ . والضحايا ؟ . . وماذا يعنى صديقه « عامر » من قوله : إنهم سيلقون بنا من قمة الجبل إرضاءً للشمس ؟ ! ! . . إنه لا يفهم شيئاً مما يتحدثان عنه ! أما الشىء الوحيد الذى أدركه . . فهو أن حياتهم جميعاً فى خطر داهم ! خطر الموت ، والإطاحة بهم من فوق الجبل ! ! . .

* * *

تركنا المغامرين ومن معهم ، وهم يرقدون على الطنافس الوثيرة فى البهو الواسع ! وكان نومهم متقطعاً ، تؤرقهم

الأحلام والكوابيس المزعجة . وعندما استيقظوا ، عرفوا بحلول الصباح من ساعاتهم ! فمثل هذا المخبأ الدفين فى جوف الجبل ، لا يُميّز فيه ليل من نهار ! . .

وكان القلق الشديد يبدو على وجه « عالية » ، وهى تسأل « عارف » : إنى أعجب ماذا حدث « لعامر » و « بونجو » ؟ ! .

عارف : لا أدرى . . ولا يمكننى أن أتصوّر ماذا سيفعلان ؟

خالد : على كل حال . . لن يكونا أتعس حالاً مما نحن فيه الآن !

وعلى مسافة قريبة ، جلس « نمرود » وسلمان » ، وهما يحاولان جهدهما إخفاء قلقهما وخوفهما على المغامرين وعلى مصيرهم جميعاً . . سواء من كان منهم داخل الجبل أو خارجه ! . .

سمارة : ولماذا القلق عليهما ؟ . . سيقبض عليهما هؤلاء المتوحشون إن عاجلاً أو آجلاً . . وسينضمان إلى زمرتنا قريباً !

أما الآن فأنا جوعان ! . . كلوا واشربوا . . لعلّها تكون آخر وجباتنا . .

ولم يكد « سمارة » يمدّ يده ليلتقط قطعة من الخبز ، حتى انفتح الباب على مصراعيه ، ودخل عليهم زعيم القبيلة ، يتقدم بعض رجاله الأشداء وهم يحملون حرابهم الطويلة . وأشار إليهم بحربته أن يتبعوه ! . .

وكانت الحيرة تنتابهم وهم يسيرون خلفه فى صف طويل ! . إلى أين هم ذاهبون ؟ . . وماذا هم صانعون بهم ؟ !

أخذوا يرتقون السُّلَّمَ ، ويجتازون الحجرات الواسعة التى تزيّن جدرانها الرسوم الذهبية البديعة لقرص الشمس وهى تنشر أشعتها ! . .

وهكذا استمرت بهم المسيرة طوال اليوم تقريباً ، إلى أن كلّت أقدامهم ، وتقطعت أنفاسهم ، وعجزوا عن مواصلة السير والصعود . فخرّوا على الأرض الصخرية يستريحون مما أصابهم من كلل وإجهاد . .

وهمس « **عارف** » لهم : أعتقد أنهم يصعدون بنا إلى قمة الجبل ! ! وأعتقد أيضاً أنهم يعبدون الشمس . . ولذلك نرى صورتها فى كل مكان !

ثم نظر إلى ساعته . وقال : الآن قاربت الشمس على المغيب . . . والعادة أن عَبَدَة الشمس يتعبّدون لها مرة عند شروقها . . ومرّة عند غروبها ! . .

عالية : أتظن أننا سنراهم الآن وهم يتعبّدون إلى الشمس ؟ ! . . ياله من منظر فريد ! . .

وعلى حين فجأة . بدأ الزعيم فى إنشاء بعض الصلوات والتراتيل الغريبة الحزينة . بصوته الجهورى الخشن ، وشاركه رجاله بعد ذلك . وكان صدى صوتهم يتردّد فى الفضاء يهزّ الجدران الصخرية . حتى خيّل إلى المغامرين أن زلزالاً عنيفاً قد وقع ! . . ياله من موكب مخيف ! . . وياله من موقف رهيب ! . .

وكانت تلك التراتيل إيذاناً باستئناف المسيرة ، وبقرب وصولهم إلى معبد الشمس الذى يعتلى قمة الجبل

الأصفر ! . .

* * *

دخل الموكب العجيب من باب ضخم واسع إلى قمة الجبل المسطحة . وما إن شاهد المغامرون المنظر الذى انجلى أمامهم . حتى هتف « عارف » : لك حق يا « عالية » . . ياله من منظر فريد ! . .

عالية : ولكنى لم أكن أتصوره بهذه الرَّوعة والعَظَمة . . .

كانت قمم الجبال الشاهقة تحيط بهم من كل جانب ! . . وتمتد أمام ناظريهم الغابات الكثيفة والأودية الخضراء . إلى مدى الأفق البعيد . يخترقها نهر ينساب وسطها كأنه ثعبان ! . .

وبعد أن ملئوا عيونهم بهذا المنظر الساحر الخلاّب . التفتوا إلى القمة التى يعتلونها . فإذا بهم أمام مسطّح ممهّد واسع شاسع . مرصوف بأحجار صفراء لامعة ! تبلغ مساحته ضعف مساحة ملعب لكرة القدم ! ! وعلى بُعْد قليل

من جرف الجبل ، أقيم مبنى كبير . تحيط به الأعمدة الضخمة ! . .

خالد : يبدو لى أن هذا المبنى هو معبدهم . .

عالية : سنعرف قريباً . . ! . . لا تتعجّلوا !

سمارة : أما أنا فيبدو لى أنه السجن الذى سننزل فيه ! ! . .

وعندما غابت الشمس تماماً . فوجئ المغامرون بمن حولهم من رجال القبيلة ، وهم يخرّون على ركبهم ساجدين . ثم أخذوا يرتلون ويبتهلون إلى السماء بأصوات حزينة ! .

وكان « نمرود » يستمع بإمعان إلى هذه الأناشيد . عندما التفت إلى « سلمان » وهمس فى أذنه : هذه صلاة موجهة إلى الشمس ! . . أنا غير مطمئن لما يجرى حولنا يا « سلمان » ! .

وكان « خالد » يقف على مقربة من حارسه ، فالتقط همساته الخافتة إلى « سلمان » . فسأله : ولماذا أنت غير مطمئن ؟ ما الذى يزعجك ؟ . .

ولكن « نمرود » لم يشأ أن يصارحه بالحقيقة ! لقد فهم

الكثير من صلواتهم ! ! .

وما لبث الظلام الحالك أن خيّم على الغابات والأودية ، واختفت معه قمم الجبال . ولم يكن يُشاهد غير البريق اللامع الخافت الذى يشعّ من الحجارة الصفراء التى تفترش القمة !

وعندئذ تقدم الزعيم ، وتطلّع إلى السماء المظلمة ، وبدأ يتحدث موجّها إليها حديثاً طويلاً بأعلى صوته القبيح ! ! . .

وكان « نمرود » يصغى إليه بانتباه ، محاولاً أن يفهم منه قدر طاقته ماذا يقول . وبعد أن انتهى الزعيم من حديثه الطويل إلى السماء ، سأله « عارف » : ماذا يقول يا « نمرود » ؟ . .

نمرود : إن لهجته غريبة علىّ ! . . ولعلّى فهمت منه صواباً ! . . إنه يبتهل إلى الشمس أن تختفى قليلاً ، لتفسح الطريق أمام ظهور السحب وهطول الأمطار ! وإنى أتصوّر أنهم فى حاجة ماسة إلى المطر لرىّ محاصيلهم ! . . لأنهم فى خطر من المجاعة ! . .

وبعد ...

هو ورجاله إلى الخارج ، وتركوا الجميع وحدهم على القمة ، بعد أن أقفلوا عليهم الباب الضخم بالمتاريس ! .

فقال « عارف » : ياله من سجن كبير فسيح ! . .

خالد : لو حاول أحدنا الفرار ، وهبوط هذا الجرف ، لهوى قتيلاً على سفح الجبل ! . .

سمارة : وهم يدركون هذا ! . . ولذلك تركونا أحراراً !

عالية : نحن الآن أحرار سجناء ! ! . . على كل حال هنا أرحم من سجننا الضيق فى جوف الجبل ! .

بدأت الرياح الشديدة تَهبُّ عليهم وهم فى العراء ، فدخلوا المعبد ليحتموا فيه . وأخرج « عارف » بطاريته ، وسار أمامهم ، يتجوّلون فى قاعاته وغرفه وطرقاته .

وأخيراً استقر بهم المقام فى حجرة مفروشة بالسجاد ، وتتناثر فى جوانبها الوسائد الجلدية الملوّنة . وقال « نمرود » : هذه حجرة مناسبة لنبيت فيها ليلتنا . . وهنا سوف تسهل علينا حراستكم ! . .

سمارة : وفى النهار سوف نستكشف باقى الحجرات ! . .

ارتموا على الوسائد يتشاورون فى أمرهم ، وما وصلت إليه حالهم . فقال « عارف » : حتى الآن . . نحن هنا فى أمان ! . .

فقاطعته « **عالية** » والدموع تترقرق فى عينيها : نحن فى أمان ! ! . . ولكن ماذا عن « عامر » و « بونجو » ؟ ! . . هل هما أيضاً فى أمان ؟ ! . . وخالنا « ممدوح » ! . . أين هو ؟ وهل هو حىّ يرزق ؟ ! ! . .



الخدعة البارعة !



سمارة

كانت الدموع تترقرق فى عينى « عالية » ، وهى تتساءل عن مصير أخيها « عامر » . . و « بونجو » الشجاع المخلص الأمين . . وخالها الحبيب « ممدوح » ! . . إذ كيف لها أن تعلم أنّ ثلاثتهم كانوا فى هذه اللحظة معاً . . وعلى مقربة منها ! ! . . إن ذلك لم يكن يجول بخاطر أحد منهم على الإطلاق ! . .

سار الثلاثة فى هدوء ، وعلى غير هدى . يضربون فى أرجاء وطرقات الجبل . وكانوا كلما دخلوا حجرة ، وجدوها خالية ! وهو الأمر الذى أدهشهم . وأثار شكّهم ! ولكنهم لم يكونوا يعلمون أن القبيلة بأسرها صعدت إلى القمة . .

لتتعبّد إلى الشمس ! . . وأنها اصطحبت أسراها معها إلى السجن الكبير !

وفى حجرة صغيرة منحوتة فى الصخر ، اكتشف « عامر » اكتشافاً عجيباً ! ! . . ماكاد يراه ، حتى اتسعت حدقتاه من الدهشة والعجب ! . . فلفت إليه نظر « ممدوح » ، وقال : انظر ياخالى ! . . ربما هذا يفسّر لنا الكثير ! ! . .

تناول « عامر » آنية موضوعة على مائدة فى ركن من الحجرة . وكانت هذه الآنية مملوءة بمسحوق أحمر ، وأخرى بها معجون أصفر فى لون الذهب ! ! ! . . وقال : هذا هو المعجون الذى يطلون به جلودهم السوداء ، حتى تصير فى لون ضوء الشمس الأصفر عند الشروق ! ! . . وهذا هو المسحوق الذى يصبغون به شعورهم ولحاهم ، حتى تبدو كضوء الشمس الأحمر المتوهّج عند غروبها ! ! ! .

ممدوح : الآن انجلى السرّ أمامنا ! . . لا عجب إذن فى أنهم يظهرون بهذا الشكل الغريب المخيف الذى يختلف عن

البشر أجمعين !

وكان « بونجو » يستمع إلى هذا الحديث ، وهو مندهش ! . ولكن مالبث أن علا البشر وجهه الأسود ، وقال : إذن هم مثلى . . سود البشرة والشعر ! ! يالهم من ماكرين غشاشين ! . . لن أخاف منهم بعد الآن . .

وقال « **عامر** » وهو يضع فى جيبه آنيتين من هذه الأصباغ : سأحتفظ بهما كتذكار ، إلى أن نصل إلى منزلنا فى القاهرة ! ! .

فقال « **ممدوح** » وكأنه يحدث نفسه : هذا إذا كنا سنصل إلى منازلنا ! . . هيّا بنا . . وعلينا بالحذر وإلاّ ضعنا فى هذه المتاهة !

تابعوا السير وهم يتصنّتون على كل باب فى طريقهم الصاعد إلى القمة . وعند باب كبير مرصّع بالحجارة الصفراء البرّاقة ، سمعوا صوت نقاش وجدال عنيف يجرى فى الداخل .

وعندما وضع « بونجو » أذنه على الباب ، ظهر الخوف

واضحاً على وجهه . ونظر إليهما وهو يرتعد . وقال : يقولون إن آلهتهم الشمس غاضبة عليهم ! ! وإنها تطالبهم بضحيّة ! ! وإلاّ أحرقت الجبل . . ومنعت عنهم الأمطار ! ! . . وأنهم سوف يختارون واحداً من بيننا . يقدمونه قرباناً للشمس ! ! . .

صمت « **ممدوح** » طويلاً ، إلى أن قال : هذا ما كنت أخشاه ! ! واحد منّا سوف يلقونه من فوق القمة ! يجب أن نلحق بإخوتك ومن معهم . لنحذرهم بأسرع ما يمكن . وقبل فوات الأوان ! مهما تعرضنا له من خطر . . وحتى لو كلّفنا ذلك حياتنا ! !

* * *

ولكن ما كاد الثلاثة يخطون خطوة واحدة . . حتى وقع المحظور ! . .

فقد سمعوا جلبة عالية . وأصوات وقع أقدام وهي تدبّ مسرعة على الأرض الصخرية . ورأوا أفواجاً من رجال القبيلة يجرون نحوهم من كل اتجاه ! . .

فقال « **ممدوح** » فى استسلام : هذه هى النهاية ! . لقد وقعنا فى أيديهم ، ولا سبيل أمامنا إلى الفرار ! لابدّ أنهم اكتشفوا اختفائى ! . . فهرعوا للبحث عنى !

أحاط بهم الرجال من كل جانب . وهم ينظرون إلى « عامر » و « بونجو » باستغراب وهلع ! إنهم يعرفون « ممدوح » حق المعرفة ! ولكن هذان العفريتان ! ! من هما ؟ وكيف اقتحما عليهم موطنهم المنيع ؟ ! . . .

وبالرغم من أن « ممدوح » كان لايزال يحمل مسدسه ، فإنه استسلم دون مقاومة ، خوفاً على حياة « عامر » وزميله الصبىّ الأسود من حرابهم المسنونة المصوبة إلى صدورهم !

اقتادوهم فى الطريق الطويل الصاعد . وعندما وصلوا إلى الباب العالى الضخم المؤدى إلى القمة . كان الفجر قد لاح ! وكم كانت دهشتهم عندما فُتح الباب ، وأطلّوا على القمة الواسعة ، فقال « ممدوح » : هذه القمة تصلح مطاراً ! . .

وكان « عامر » مشغولاً عنه ، يجول ببصره فى كل مكان

بحثاً عن إخوته . ولكنه لم ير شيئاً ينم عن وجودهم فقد كان المغامرون داخل المعبد ، يتجوّلون فى أنحائه يشاهدون ما فيه من عجائب وغرائب ، بعد أن استيقظوا فى الصباح الباكر .

وكانت « عالية » هى أول من وقع بصرها عليهم . وهى تعبر طرقة فى مواجهة مدخل المعبد . لم تصدّق عينيها فى بادئ الأمر . . هل هذا هو خالها « ممدوح » حقيقة ؟ نعم . . إنه هو بعينه ، يقف مع « عامر » و « بونجو » ! . . يالها من مفاجأة مذهلة أن ترى الثلاثة معاً ! . .

فصرخت وهى تقفز من الفرح : خالى . . خالى . . « عامر » . . « بونجو » . . نحن هنا ! . .

اندفع الجميع نحوهم على سلالم المعبد وهم يتصايحون . وكان لقاءً حارًّا ، تبودلت فيه الأحضان والقبلات ، بين المغامرين وبين خالهم « ممدوح » وأخيهم « عامر » . حتى « بونجو » كان له نصيب وافر من هذه الأحضان ! . .

* * *

وبعد أن هدأت نفوسهم من حرارة اللقاء ، قال

« ممدوح » : هل ستظل هكذا أسرى فى أيديهم حتى يجهزوا علينا ؟ لابدّ من التفكير فى وسيلة للهرب !

عارف : الطريقة الوحيدة هى التغلب « **نمرود** » و « سلمان » على هؤلاء الرجال . ثم الفرار والعودة إلينا بالنجدة ! فهما مسلّحان ، وعلى قوة بدنيّة خارقة . .

نمرود : على كل حال لا بأس من المحاولة . مادامت هى الوسيلة الوحيدة . ولو أنى أعتقد فى [illegible] جدواها ! . .

وفجأة صاح « **عامر** » : لقد خطرت لى فكرة ! ! . .

وأخرج « عامر » علبتى المعجون والأصباغ من جيبه ، وقال : هذه ! ! . . هذه هى الوسيلة الوحيدة أمامنا للفرار ! . . سنطلى أبدانهما باللون الذهبى . . وشعورهما بالصبغة الحمراء ! فيبداون وكأنهما من رجال القبيلة ! . . ولن يتعرف عليهما أحد ! . .

عارف : ويمكنهما أن يرتديا بعض الملابس الفضفاضة مما فى المعبد . . وهى كثيرة ! . .

عامر : وعند خروج رجال القبيلة بعد صلاة الصباح ،

يندسان وسطهم . . وعليهما بعد ذلك أن يتصرّفا ! ! . .

سمارة : هذه فكرة جهنمية . . وياحبذا لوكان فى مقدورنا أن نحذو حذوهما . . ونفرّ معهما ! . .

دخل الجميع المعبد . حيث تولّى « ممدوح » و « عامر » عملية الطلاء والصباغة فى سرعة ومهارة فائقة . فى حين انهمكت « عالية » فى انتقاء الثياب الملائمة لهما من حجرة الملابس بالمعبد .

وبعد أن انتهوا من عملهم ، ألقى « ممدوح » عليهما نظرة فاحصة ، فبدا الارتياح على وجهه ، وقال : عظيم ! . . لقد قمنا بعمل رائع متقن ! . . لا شىء يميّز بينهما وبين رجال القبيلة ! . . سوف تنطلى عليهم الخدعة ! . .

عامر : والآن حان الوقت لأفراد القبيلة لدخول الساحة . . فالشمس على وشك الشروق . . وعليك يا « نمرود » أن تختفى مع « سلمان » وراء هذه الأعمدة الضخمة . وتندسّان وسطهم عند الخروج بعد الانتهاء من الصلاة ! . .

عارف : وأعتقد أنه من الحكمة أن نخفى بنادقهما فى مكان أمين بالمعبد ! . . فهما لن يحتاجا إليها . . وربما احتجناها نحن فيما بعد ! . .

وعند ظهور أولى أشعة الشمس ، فُتحت البوابة على مصراعيها ، ودخل منها موكب المصلين الرهيب ، وهم يترنمون بالأناشيد والتراتيل الحزينة . .

صعد الزعيم إلى برج المعبد العالى فى حين تفرّق الرجال والنساء والأطفال على أرض القمة الواسعة ثم شرعوا فى أداء بعض الطقوس الغريبة ! . .

أما المغامرون فكانوا ينظرون إليهم ساهمين من بعيد ، وكل منهم يقف على انفراد فى أماكن متفرقة ، حتى لا يتنبه الرجال إلى غياب « نمرود » و « سلمان » ، اللذين كانا يختفيان وراء عمودين . كانا يتحيّنان الفرصة المواتية للانضمام إلى الموكب فى خروجه من الساحة ! . . .

وبعد أن انتهت مراسم الصلاة ، نزل الزعيم من البرج ، ليقود الموكب الكبير . . الذى كان يتذيّله « نمرود »



قال ممدوح فى استسلام لقد وقعنا فى أيديهم ولا سبيل أمامنا إلى الفرار !

و «سلمان» ، بعد أن خرجا من مخبئهما ، وانضمّا إليه دون أن يشكّ فيهما أحد ! . . كانا كأى واحد منهم ، دون أى فرق أو تمييز !

وكان المغامرون يتضاحكون عليهما ، وهما يحاكيان حركاتهم وإشاراتهم العجيبة ، ويترنمان بالتراتيل المماثلة ! . . يالهما من ممثلين بارعين ! ! . .

تجمّع المغامرون فى المعبد ، بعد أن اختفى « نمرود » و « سلمان » عن الأنظار ، وقُفل وراءهما الباب ببطء .

وكان « خالد » يشعر بالحزن والقلق على فراقهما . فقال : لقد ذهبا . . أدعو الله ألا يُقبض عليهما ، أو يصيبهما مكروه ! . . إنهما لن يُعوضا ! . . وهما أملنا الوحيد فى النجاة !

* * *

مضى يومان دون أن يحدث ما يوجب القلق . فكان أفراد القبيلة يظهرون كالعادة ، مرة عند شروق الشمس ، وأخرى عند غروبها . كما كان بعض الحرس الأشداء يأتون لهم بالماء

والطعام مرة كل يوم . .

ومن الغريب أن أحداً من الحرس لم يتنبه إلى غياب « نمرود » و « سلمان » ! . . فقضلاً عن أن المغامرين كانوا يتفرّقون عن عمد داخل المعبد ، وفى أنحاء الساحة الشاسعة ، فإن أحدا لم يسبق له أن هرب من فوق هذه القمة ! ! هذا ما كانوا يعتقدونه ! . . إن الهرب مستحيل . . مستحيل ! . .

وهكذا مضى اليومان عليهم بسلام ، دون خطر ! . .

ولكن . . ما لبثت الحوادث أن توالت عليهم فجأة فى اليوم الثالث ! . .



القُربان ! ! . . .

ابتدأت الحوادث عندما دخل زعيم القبيلة إلى الساحة . وذهب إلى برج المعبد العالى . وبعد صلاة قصيرة . كان يحدق فيها إلى قرص الشمس بعينين كعينى النسر . التفت إلى أتباعه . وأصدر إليهم أمراً عاجلاً .

فتوجهوا على أثره إلى المغامرين ، وأحاطوا بهم من كل جانب كالحلقة المستحكمة . ثم ذهبوا بهم إلى أسفل البرج حيث وقف الزعيم يطلّ عليهم . .

كان يتنقّل بنظراته المفترسة بينهم واحداً بعد الآخر . ثم ظهرت على وجهه فجأة علامات الحيرة والدهشة ! . . لقد وضح له أن اثنين ينقصان من مجموعة أسراه ! . .

وكان أن صرخ فى أتباعه بصوت تردّد صداه بعيداً بين قمم الجبال . فتفرّقوا فى الساحة ، ودخلوا المعبد ، يبحثون فى لهفة كمن يبحث عن كنز ضائع ! . .

فهمست « **عالية** » : إنهم يبحثون عن « نمرود » و « سلمان » ! . .

عامر : ليبحثوا كيفما شاءوا . . فلن يعثروا عليهما هنا ! . .

ظهرت علامات الغضب على وجه الزعيم ، واحمرّت عيناه من الغيظ ، بعد أن أسفر البحث عن اختفائهما ! . . لقد تبخرّ الاثنان فى الهواء ، وكأن الأرض انشقّت وابتلعتهما ! ! . .

كان الزعيم يرتجف حنقاً ، وهو يحدّث أتباعه طويلاً بلهجة حادّة . ولما انتهى من خطابه . انبطح الجميع أرضاً على وجوههم ! . .

ماذا قال لهم ؟ ! . . إن أحداً منهم لم يفهم شيئاً مما قاله بطبيعة الحال ! . .

أما « بونجو » فكانت أوصاله ترتعد من الخوف ! فقد فهم ووعى كل كلمة من خطابه الطويل ! . .

هبط الزعيم من البرج العالى ، وأخذ يتجوّل بين المغامرين ، وهو يتفرّس مليًّا فى وجوههم . وكانوا يقفون أمامه فى جراًة وشجاعة . لا يهتز لهم طرف ! . .

إلاّ « بونجو » المسكين ! لأنه كان على بيّنة مما انتواه لهم هذا الرجل الشرير المخيف ! . .

والحقيقة المفجعة ، هى أن الزعيم كان يختار من بينهم ضحيّة ، يقدمها قرباناً للإلٰهة الشمس ! ! . .

كان ينظر إلى « عالية » بإمعان ! . . ثم انتقل منها إلى « ممدوح » وباقى المغامرين ! إلى أن حطّ بصره فى النهاية على « خالد » ! ! . . وظهرت على محيّاه علامات الرضا والارتياح ! ! . .

مدّ الزعيم يده وأمسك بذراع « خالد » ، ونادى على أتباعه . فهجموا عليه وانتزعوه بقسوة من بينهم ، وحملوه بعيداً .

ومع أن « خالد » كان يجهل إلى أين يذهبون به ، أو ما هو مصيره ، فإنه كان يحرص على عدم إظهار الخوف ، وإبداء الشجاعة مهما كانت الظروف ! . .

سار الرجال وهم يحيطون « بخالد » إلى البوّابة الواسعة ، واختفوا به فى جوف الجبل . وذهب الزعيم إلى برجه العالى ، وحدّق فى الشمس ، وأخذ يرتّل لها أناشيده الحزينة !

جلس المغامرون يستمعون إلى « بونجو » وهو يشرح لهم مأساة « خالد » . وأن الاختيار قد وقع عليه ليكون أول الضحايا التى سيقدمونها إلى الشمس ! وكانت « عالية » تستمع إليه . والدموع تتساقط من عينيها مدراراً . . .

فقال « ممدوح » : لا أدرى كيف ستتمكن من إنقاذ « خالد » المسكين ؟ ! . . نحن فى ورطة لا مخرج منها ! !

طال بهم الانتظار وهم يبحثون فى إيجاد مخرج من هذه الورطة العويصة ! وكان « ممدوح » يضع رأسه بين كفّيه ، ويحدث نفسه قائلاً : لقد اختلطت على الأمور . . حتى الأيام والتواريخ لم أعد أعرفها . .

لم يحضر أحد من القبيلة الصفراء هذه الليلة إلى القمة !
ومسكين « خالد » ! ماذا حدث له ؟ إنهم لم يسمعوا عنه منذ
أن اختفى فى جوف الجبل ! . .

فقال « **ممدوح** » : لابد أن سبباً هاماً منعهم من الحضور
هذه الليلة ! . . ماذا يكون ؟

عارف : أعتقد أنهم انطلقوا وراء « نمرود » و « سلمان »
للبحث عنهما فى الغابات والأدغال . . .

سمارة : هذا إذا كانا خرجا سالمين من الجبل ! ! . .

عالية : أتعشم أن يكونا قد أفلتا . . وأن يأتيا لنا بالنجدة
سريعاً . . .

دخلوا المعبد ليقضوا فيه ليلتهم ، بعد أن يئسوا من
حضور الزعيم وأتباعه . ولكن الأرق أصابهم ، فجافاهم
النوم . كانوا فى أشد اللهفة والقلق على « خالد » . . وانتابهم
جميعاً حالة من اليأس على مصيره فمن المستحيل إنقاذه إلا
إذا حدثت معجزة . .

وعندما طلع الفجر ، دخل الزعيم الساحة ، مع نخبة من

عمالقته الأشدّاء . وكانوا يحيطون بصبىّ ، يرفُل فى ملابس
فاخرة ملوّنة ، أصفر الوجه ، أحمر الشعر . وفوق رأسه تاج
من الذهب الخالص ، مصنوع على شكل قرص الشمس
وهى تنشر أشعتها على الكون ! . .

ولكن ما كادت « عالية » تلمح الصبىّ ، حتى
صاحتْ : انظروا . . هذا هو « خالد » . . بالكاد عرفته فى
هذه الملابس . . والشمس تتوّج رأسه ! ! . . وبوجهه
الأصفر ، وشعره الأحمر ! ! لقد صبغه هؤلاء
الأشقياء ! . .

كان منظر « خالد » رائعاً بلباسه الزاهى ، وتاجه البرّاق .
كان يشعر بالخوف ، إذ كان يدرك مصيره المؤلم . ولكنه مع
ذلك أصرّ على أن يبدو أمام أصدقائه المغامرين ، بمظهر
الشجاع الذى لا يهاب ! فابتسم لهم ملوّحاً ، وهو يخطو
أمامهم بهدوء وثبات . . .

وعندما وصل الزعيم فى مواجهتهم ، تقدم منه « ممدوح »
واعترض طريقه ، وصاح فيه : قف ! . . إياك أن

تتحرك ! ! . .

ارتبك الزعيم للحظة . وتعجّب من جرأة هذا الرجل الذى يعترض طريقه ! . . وإن كان لم يفهم كلمة واحدة من هذه الرطانة الغريبة عليه . .

أشار « ممدوح » إلى « بونجو » أن يلحق به ، وتابع حديثه قائلاً : قل للزعيم أريد أن أحل محل هذا الصبى وأُقدِّم ضحية للآلهة بدلاً منه . .

نَقَل « بونجو » ما قاله « ممدوح » إلى الزعيم بلغته . وما إن سمع منه هذا القول ، حتى عَبَس ، وبدا الشر فى عينيه الضيقتين ، وأخذ يهذى بكلمات لم يفهمها إلاّ « بونجو » ! . .

قال « **بونجو** » : إن الزعيم مُصرّ على « خالد » وهو الذى يختار ولا يمكن لأحد أن يتدخل فى الأمر .

قال « **ممدوح** » : ليس أمامنا فرصة لإنقاذ « خالد » . . تُرى ما العمل ؟ لقد تأخر « نمرود » و « سلمان » . . هل مازالا على قيد الحياة . . وأكمل حديثاً طويلاً بينه وبين نفسه لكيلا

يسمعه « عالية » و « عامر » ويزيدهما همًّا وكتم شعوره فى نفسه . .

وصمت الجميع فى انتظار ما يخبئه لهم القدر . .



لم يُسمح لأحد بدخول المعبد هذه الليلة . ووقف الحرس بحرابهم الطويلة يسدّون مداخله . وفى انتظار ساعة الصفر كان المغامرون يشاهدون فى الساحة عجباً . حتى كادوا يفقدون أعصابهم ! . .

زعيم القبيلة الصفراء

فمن رقصات بدائية . . إلى طقوس همجية . . إلى صراخ وحشى بلغ عنانه السماء ، استمر حتى الصباح . . .

وأخيراً غلبهم النعاس ، فناموا فى العراء أما « ممدوح » فظل على يقظته ليحميهم ، وأصبعه ، على زناد مسدسه ، وليراقب ما حوله فى دقة . .

وفى الساعة الحادية عشرة صباحاً ، أيقظ « ممدوح »

المغامرين . عندما رأى البوابة تُفتح . ويدخل منها جمع غفير من رجال القبيلة ونسائها وأطفالها . كانوا يرتدون أبهى ما عندهم من لباس وزينة . كما كانت أبدانهم وشعورهم حديثة الطلاء ، تلمع تحت أشعة الشمس القوية . .

إنهم يحتفون اليوم بمناسبة سعيدة ، يكرّسونها لإرضاء معبودتهم الشمس ، لعلّها ترضى عنهم ! ! . .

وعلى حين فجأة دوى هزيم الطبول كالرعد ! وكان ذلك إيذاناً ببدء الاحتفال بتقديم القربان إلى إلهتهم الشمس ! .
فهبط الزعيم بصحبة « خالد » . ووقف معه على منصة حجرية تقع بالقرب من جرف الجبل ! إنهم سوف يقذفون بالمسكين « خالد » من فوقها إلى أسفل الجبل ! . .

كانت الرهبة تتملك المغامرين وهم يشاهدون هذه المراسم والطقوس العجيبة . . و « بونجو » يرتعش كريشة فى مهبّ الرياح . . و « ممدوح » ينظر فى ساعته انتظاراً لحلول ساعة الصفر ! . .

وفى طرفة عين ، جرى « ممدوح » بكل قوّته ، حتى

وصل أمام المنصّة ، حتى أن الحرس أُخذوا على غرّة ، ولم يتمكنوا من صدّه . .

ولكن حدث فى هذه اللحظة شىء غريب ! توقف المهاجمون على أثره فى أماكنهم ! . . فقد وجدوا أنفسهم محاطين بعدد هائل من قوات الأمن السودانية وحرس الحدود . .

ساد الصمت العميق ، بعد أن صُعق أفراد القبيلة ، وتجمدوا فى أماكنهم . .

وكانت فرحة المغامرين « وممدوح » لا تقدر .. واقتربوا من « خالد » وأخذوه بعيداً وهو مذهول لما يحدث . . وتركوا أمر هذه القبيلة للجهات المختصة وقالت « **عالية** » بفرحة غامرة : كم كنت شجاعاً يا « خالد » . . إننا فخورون بك . .

سمارة : لقد ميزناك من وسطهم ، بالرغم من بشرتك الصفراء . . وشعرك الأحمر . . وتاج الشمس على رأسك . . وهذه الملابس الفاخرة المزخرفة . .

خالد : هذه تذكارات ثمينة . سأحتفظ بها مدى الحياة . . إثباتاً لما جرى لى ! . .

لم يتمكن أفراد القبيلة من الصمود أمام هذه القوات ، ففرّوا هاربين مذعورين وراء زعيمهم الذى أطلق ساقيه للريح ! . .

هدأت نفس المغامرين قليلاً ثم قال « **خالد** » : ماذا ننتظر . . هيا بنا نخرج من هذا المكان

عالية : انتظر قليلاً ، حتى نحصل من المعبد على بعض التذكارات !

ساروا فى طريق الخروج ، وكل منهم يحمل على كتفه شيئاً مما حصلوا عليه . . وبعد أن تحدث « ممدوح » مع بعض رجال الأمن . . واصطحبهم بعض الجنود إلى حيث كانت طائرة هيليكوبتر فى انتظارهم . وهناك أمام البوابة كانت المفاجأة الكبرى ! . . وقبل أن يصعدوا إلى الطائرة وجدوا « نمرود » و « سلمان » أمامهم فقد نجحا فى الفرار . . . وهما فى طريقهما إلى خارج منطقة القبيلة الصفراء عثرت عليهما

قوات الأمن وهى فى طريقها إلى الوصول للقبيلة الصفراء لتنجى المغامرين وخالهم « ممدوح » من أيديهم .. وساعدهم « نمرود » و « سلمان » فى الوصول إليهم فأرشدوهم إلى الطريق وقبل إقلاع الطائرة ، تقدّم « بونجو » من « عامر » وقلّده تعويذته الغالية . وهو يقول له : هذه كل ما أملك .. سوف تحفظك أنياب التمساح من كل سوء ! ..

* * *

وفى طريقهم إلى « الخرطوم » . قصّ عليهم « نمرود » مغامرة هربه من الجبل الأصفر مع « سلمان » ، فقال : كان فرارنا من الجبل سهلاً ! .. فبعد أن انضممنا إلى رجال القبيلة فوق القمة . كنا نلزم المؤخرة دائماً ، تفادياً من الحديث معهم واكتشافهم لحقيقتنا ! .. ثم تخلّفنا عنهم فى طرقة مظلمة . وانتظرنا طويلاً ، حتى رأينا جماعة منهم تحمل الحراب . وفهمت من حديثهم أنهم خارجون إلى الصيد فى الغابة ! .. فلحقنا بمؤخرتهم كالعادة ، وخرجنا معهم ، دون أن يتنبّه أحد إلينا ! .. وذهبوا هُمْ إلى الصيد .. ولكن

كم من الأهوال والمخاطر لاقيناها فى اختراق الغابة . ونحن عزّل من السلاح ! .. ولكن الله كان معنا ...

ولما انتهى « نمرود » من قصّته ، انهمك المغامرون فى إزالة الطلاء الأصفر عن بشرة « خالد » . وكان يستسلم إليهم فى صبر وأناة ، حتى نجحوا أخيراً فى إعادته إلى لونه الخمرىّ الجميل ! أما شعره فقد استعصت عليهم صبغته الثابتة الحمراء الملتهبة ! ..

فقال « **خالد** » : وما العمل الآن ؟! ..

فردّت عليه « **عالية** » وهى تضحك : لا بأس .. سنحلقها لك بالموسى عند وصولنا إلى القاهرة .. ونحتفظ بشعرك الأحمر تذكاراً لهذه المغامرة الرهيبة النادرة ! ..




عامر عالية عارف مرجان



لغز القبيلة الصفراء !

سافر المغامرون الثلاثة : «عامر» و «عارف» و «عالية» . والصديقان «سمارة» والأمير «خالد» السعودىّ . إلى الأدغال والغابات السوداء فى أواسط أفريقيا . لإنقاذ خالهم العقيد «ممدوح» ! ..

* فما الذى حدث ؟

وكيف دخلوا جوف الجبل الأصفر المنيع ؟ ومن هم عبدة الشمس ذوو البشرة الصفراء والشعور الحمراء ؟

هذا ما ستعرفه عند قراءة هذا اللغز المثير ! ..



دار المعارف

